

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تراثنا



سلطانة في نيويورك

أول رحلات الأسطول العماني لأمريكا
عام ١٨٤٠م

تأليف
هرمان فردريك أيلتس

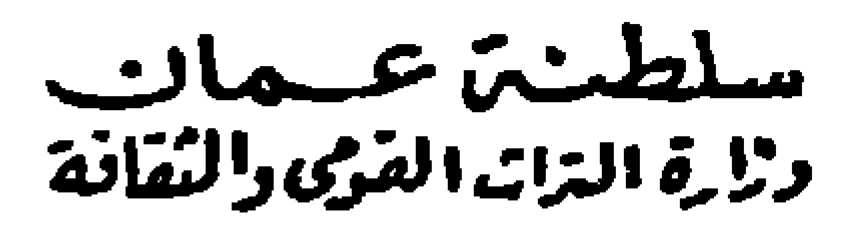
العدد الخامس

اهداءات ٢٠٠١

المستشار/ رابح لطفي جمعة

القاهرة




سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

سلطانة في نيويورك

أولى رحلات الأسطول العماني لأمريكا
عام ١٨٤٠م

تأليف
هرمان فردريك أيلتس

الطبعة الثانية

١٩٨٢

تقديم

هذا البحث كتبه مستر هيرمان فريدريك إيلتس سفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق فى جمهورية مصر العربية .

وقد نشر أول مرة فى المجلة الربع سنوية التى يصدرها معهد اسكس فى مدينة سالم بولاية ماساشوستس فى أكتوبر عام ١٩٦٢ . ثم أعادت نشره بتصريح من المعهد ومن المؤلف سفارة سلطنة عمان فى واشنطن .

ولهذا البحث أهميته الخاصة التى جعلت السفارة العمانية فى واشنطن تختاره للنشر ، ثم كان لإدراك وزارة التراث القومى والثقافة لأهميته أيضاً ما دفعها إلى ترجمته ونشره باللغة العربية كى ينتفع به القارىء العربى ويتعرف من خلاله على حقائق تاريخية هامة عن عمان وعن دورها فى تحقيق العلاقات الوطيدة بين العالم العربى والعالم الجديد

ولعل قارىء هذا الكتاب سواء فى لغته الأصلية — الإنجليزية — أو فى ترجمته العربية يلمس جوانب الأهمية لهذا الموضوع فى مجريات التاريخ الحديث ، ذلك أن رحلة السفينة « سلطانة » إلى نيويورك فى عام ١٨٤٠ ، والمهمة التى كلف بها أحمد بن نعمان كمبعوث خاص للسيد سعيد إلى الولايات المتحدة الأمريكية تعد أول صلة حقيقية بين العالم العربى وبين الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها وتكوينها كدولة كبرى بين دول العالم .

ولئن كانت مراكش قد اتصلت بالولايات المتحدة فى نفس

الوقت تقريباً إلا أن اتصال عمان بأمريكا يعد مثلاً للإصرار العربى على الاضطلاع بالدور الفعال فى العلاقات الدولية ، ويؤكد أن سلطنة عمان بصفة خاصة كانت لها رؤية ثاقبة وإدراكات جغرافية وسياسية واسعة الأفق بحيث تشتمل على جميع أرجاء العالم القديم والحديث .

وأخيراً فان الفضل فى ذلك يعود لوزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان ولوزيرها الثاقب النظر فى هذا الاختيار الموفق لمثل هذا الكتاب مما تقوم الوزارة بنقله إلى القارىء العربى من حقائق تكون غائبة عنه وهى فخر لوطنه العربى الكبير .

ولقد اقتضى نشر الترجمة العربية التخفف من نشر هوامش الأصل ، وهى فى جملتها إشارات للمصادر التى استقى منها المؤلف معلوماته .

(١)

السفينة والرحلة

طلع الفجر تدريجياً على مدينة نيويورك فى صبيحة الخميس ٣٠ من أبريل عام ١٨٤٠ ، وبعد انفلاق الصبح بقليل ظهرت فى الأفق سفينة تتهادى فوق سطح الماء مبتعدة قليلا لتتفادى اللسان الرملى الذى يدور عند طرفه مصباح مضىء ليحدد مدخل مرفأ نيويورك ، وهنالك توقفت السفينة لتأخذ مرشداً ملاحياً تدخل إلى الميناء تحت قيادته .

وأخذت السفينة تبحر ببطء مدفوعة بريح خفيفة من الجنوب الغربى دون ما حاجة إلى الأشرعة ، وبقيادة هذا الملاح المرشد ، أخذت تسير فى المضيق المتعرج لتدخل منه إلى الخليج حيث ألقت مراسيها فى منطقة الحجر الصحى وتوقفت انتظاراً لإنهاء الإجراءات الرسمية لدخول المرفأ .

كانت هذه السفينة هى السفينة سلطانة أو السلطانة ذات حمولة تبلغ ٣٠٥ طناً ، وكانت السلطانة قد أبحرت من زنجبار منذ سبعة وثمانين يوما متجهة إلى نيويورك . ويتبين من النظرة الأولى للسفينة أنها كانت سفينة متميزة ، فعلى الرغم من أنها كانت قد بنيت فى بمباى منذ سبع سنوات ، إلا أنها من الناحية الفنية كانت أوروبية الطابع ، ذات سطح يرتفع عند المؤخرة ، وجسمها مصنوع من

خشب التك ، ولم تكن ضخمة فخمة ، فأعمدتها صغيرة قصيرة ورشيقة تستدق عند أطرافها ، وصواريها تزينها وتزيدها جمالاً ، ومع ذلك فهذه الصوارى كبيرة لا تتناسب مع حجم جسم السفينة .

ولقد لاحظ موظفو الميناء أن قمرات السفينة كانت متواضعة وحسب ما قالوا ، إنها لا تختلف كثيراً عن قمرات أى سفينة أوربية عادية إن لم تكن أسوأ منها ، وكانت القمرات مطلية من الداخل باللون الأبيض أو العاجى . أما سطح السفينة فكان محاطاً بجوانب واقية ترتفع سبعة أقدام ، وبها أماكن لأربعة عشر مدفعاً مما يدل على أنها كانت تستخدم أحياناً كسفينة حربية ، ولما كان وجودها فى نيويورك مهمة سلمية من أجل الصداقة فلم تكن تحمل سوى أربعة مدافع فقط .

وحينما دخلت السلطانة الميناء كان غاطسها منخفضاً تحت الماء لما تحمله من بضائع ثقيلة فى بطنها ، ولذا كانت المظلة الخشبية المقامة على سطحها بادية للعيان ، ويرى من تحتها فرسان يبدو عليهم الإنهاك من طول الرحلة ، وكانت علامات الإنهاك من الرحلة الطويلة تبدو فى كل مكان من السفينة ، فالأشرعة ممزقة حتى فى أجزائها الرئيسية وكانت قد ركبت حديثاً قبيل مغادرة السفينة ، فلم يزد عمرها عن خمسة شهور ، ولعل تمزقها يرجع أيضاً إلى الإهمال فيها وطيها وهى مبللة بالماء مما أوصلها إلى تلك الحالة التى يتعذر معها استعمالها فى البحر ثانية .

وكان على السفينة ستة وخمسون من الرجال الأشداء ، وكانت لحاهم مطلقة غير مشذبة من أثر الشهور الطويلة فى رحلة بحرية متواضعة ليس فيها أى وسائل للراحة أو المتعة أو الترفيه .

وطيلة الرحلة كان من الطبيعى ألا يأكل هؤلاء البحارة أكثر من وجبة واحدة فى اليوم ، وكانت الوجبة تتكون أساساً من أرز بالكارى تكوم كمية كبيرة منه فى إناء كبير تمتد إليه جميع الأصابع فى وقت واحد ، ولم يكن اللحم يقدم إلا قليلا وفى أول الرحلة .

ويقال أن الطعام كان يطبخ بماء مخزون أسن ملىء بالطحالب والحشرات المتحللة فيه ، بل والفئران الغارقة ، ولعل هذه الكائنات الحية قد نفذت إلى تلك البراميل لإهمال البحارة فى إغلاقها ، ولعلها كانت تلجأ إلى هذه البراميل لأنها لا تجد ما يقيم أودها سوى الالتجاء إلى الماء العذب .

أما طعام الضباط على السفينة فكان أكثر سخاء ، يشتمل على طبقين كبيرين ، وإذا أتى وقت الطعام مدت سجادة كبيرة على ظهر المركب ووضع فى وسطها الطعام ، وفى الأيام الأولى من الرحلة كان أحدهما يملأ إناء بلحم الضأن المطبوخ ، ثم أصبح يملأ بالأرز المخلوط بالكارى بعد أن نفذ اللحم ، أما الطبق الثانى فكان يملأ بالتمر والمانجو المملحة والتوابل وغيرها ، ويتربع ضباط السفينة حول الأطباق يلتمسون منها الطعام الشهى ، وكانوا لا يمدون إلى هذه الأطباق إلا أيديهم اليمنى بعد غسلها بالماء .

وكان يعقب طعام الضباط عادة القهوة الساخنة من بن مخا الأصلى الطازج الذى تفوح نكهته قوية ، وتوزع عليهم فى فناجين صغيرة ، وتدور عليهم النرجيلة تنتقل من يد إلى يد لتدخين الطباق ولما طال زمن الرحلة تعرضت المواد المخزونة للنقص والنفاذ وقلت معها كميات الأرز التى كانت تملأ الصحون لكل من البحارة والضباط على حد سواء .

وفيما عدا اثنين من الفرنسيين اللذين كانا ضمن طاقم السفينة كان الملاحون جميعاً إما من عسكر البحارة المسلمين الذين جلبوا من سواحل كونكان ومالابار فى غرب الهند ، وأغلب هؤلاء من فقراء الهنود الذين يبحثون عن الأجور بأى وسيلة فيما عدا القليل منهم ، وأخذ معظمهم من بمباى حيث أدخلت السفينة للتصليح والإعداد لتلك الرحلة ، وهى رحلتها الأولى إلى المحيط الأطلسى ، وقد أتى بهم أحد متعهدى السفن الهنود منتزعاً إياهم من سفن أخرى وكان أغلبهم من الرجال الأشداء الغلاظ .

وكان سواد البشرة يغلب على نسبة كبيرة من بحارة السفينة والمساعدين ، وتبدو على تقاطيعهم أنهم من أصل أفريقى ، وكثيرون منهم أيضاً كانوا من رقيق الضباط وقد أتوا بهم معهم على ظهر السفينة ليحصلوا لهم على أجر عن عملهم . وكان هؤلاء المساعدون يمثلون طبقة ثالثة على السفينة فكانت تلقى اهتماماً أقل تبعاً لحجم العمل الضئيل الذى يقومون به ، وكان طعامهم من بقايا الصحون ،

وكانت ملابسهم مصنوعة من قماش القطن الخشن ، وكان كل منهم يحمل معه فى الرحلة رداءين إلا أنهم قليلا ما كانوا يغيرون الرداء إلا إذا وصل إلى درجة بالغة من الإتساخ .

ولقد لازم السفينة وبحارتها رائحة نفاذة متميزة لم تستطع ريح البحر المالح أن تزيلها ، وكانت هذه الرائحة تمثل مزيجاً من رائحة القرنفل والصمغ والبن الصادرة من مخازن السفينة ، ورائحة القار الأسود الصادرة من المطبخ فى أسفل السفينة ، فضلا عن روائح هون المطبخ ودورات المياه البدائية التي كانت تختلط جميعاً برائحة زيت جوز الهند النفاذة ، وكان البحارة يدهنون أجسامهم به كل يوم سبت اعتقاداً منهم أنه يزيل داء الروماتزم . وكان البق والبراغيث تسرح فى جميع أنحاء السفينة ومن عليها ، حتى أن بعض البحارة كانوا يقضون بعضاً من أوقات فراغهم يتبادلون تنظيف بعضهم منها ، ومثلهم فى ذلك مثل سائر البحارة وراكبي السفن فى ذلك العصر .

وفى بعض الأحيان كانت أوقات الفراغ من العمل طويلة للغاية وكان أفراد طاقم السفينة يحاولون القضاء على ما يصيبهم من ملل بالاستغراق فى نوم عميق لساعات طويلة ، أو القيام بأداء صلوات نوافل وقراءة الأدعية والتسبيح وذكر أسماء الله الحسنى تكراراً على مسبحاتهم ، فإذا خيم الليل اختلف أسلوب الحياة على ظهر السفينة ، فالأفريقيون يتسلون بالرقص العنيف السريع الخطوات على نغمات

الطبول القوية التى اعتادوها فى بلادهم ، أو كان الجمع يستمع منصتاً إلى أحد العرب أو الهنود يشدو بنغم من الأنغام الوتيرة أو ينشد من غناء بلاده ما يردده الجميع معه .

وكان من أهم ما يشغل وقت الفراغ أيضاً هو تبادل رواية القصص ، فيلقى البعض على أسماع الآخرين ، من بطولاتهم الشخصية وذكرياتهم فى البحار وفى مواجهة العواصف ما قد يخرج من مجرد الرواية إلى الخيال القصصى الذى يعيد إلى الذاكرة قصص السندباد وأساطير الشرق التى طال ترديدها بصور مختلفة تثير انتباه السامعين وتمتعهم ..

وقاد السفينة إلى نيويورك بحار إنجليزى يدعى وليام سليمان ، كان يعمل من قبل فى البحرية الملكية وسبق له أن قاد الفرقاطة البحرية العمانية المسماة البرنس ريجنت ، ومرت السفينة بمحطتها الأولى والوحيدة فى سانت هيلانة ، حيث اشترى سليمان كميات كبيرة من الخمور لاستهلاكه الشخصى أثناء رحلة عبور الأطلسى ، وكان سليمان ملاحاً ماهراً إلا أنه كان من مدمنى الخمور ، وقد حكى أنه أخذ يشرب مما اشتراه من سانت هيلانه حتى بلغ أعلى درجات السكر فى وقت كانت السفينة فيه تأخذ طريقها إلى أعالى البحار فى أخطر مرحلة من مراحل الرحلة .

ظل سليمان ثملا مستلقياً فى فراشه لا يقوى على الحركة أو التفكير لمدة ثمانية أيام ، بدأت فى وقت كانت السفينة فيه قد قطعت مرحلة

واحدة مما دعا إلى إلقاء ما بقى من الخمور فى البحر ، ولولا أن أحد ضباط السفينة تذكر حديثاً ما جرى أمامه أثناء رسو السفينة فى سانت هيلانة لحدثت كارثة ولضلت السفينة طريقها الصحيح ، فعند رسو السفينة فى تلك الميناء استمع ذلك الضابط العربى إلى حديث بين قبطانين أمريكيين يذكران أن خير طريق للوصول إلى نيويورك هو الاتجاه أولا إلى الشمال الغربى مباشرة .

قام هذا الضابط بتوجيه السفينة إلى ذلك الاتجاه اجتهاداً بدون خبرة سابقة معتمداً على مشيئة الله وعونه ، وقد نجح فى ذلك بفضل الله ، فلم تعترضهم فى المرحلة الأولى من الرحلة أى مياه ضحلة أو جزر صخرية ، وكانت الريح متوسطة السرعة تهب فى الاتجاه المطلوب ، وظلت السفينة تحت قيادة هذا الضابط حتى أفاق سليمان من خمره .

والغريب فى الأمر أن سليمان هذا لم يكن قبطاناً صارماً بقدر مهارته ، فقد كان إذا أفاق من الخمر يفقد أعصابه بسهولة ، وكان إذا ما صاح فى البحارة أحياناً لا يقابل إلا بالتجهم والغطرسة والإهمال من جانبهم ، ولعل الحالة السيئة التى وصلت إليها السفينة ترجع إلى ذلك .

وكان على السفينة ضابط يسمى محمد عبد الله هو الضابط الأول وهو عربى أسمر ذو قامة قصيرة ، كثيف شعر الذقن ، تقاطيعه قوقازية دقيقة ، اتصف بالكسل والتراخى ، ولقد كان متوعكاً

فى أغلب الأحيان مما يجعله قليل الفائدة ، ولم يكن يتدخل كثيراً فى تسيير أمور السفينة ، وكان الضابط الثانى محمد جمعة شاباً شديد السمرة ضخم الأنف على وجهه علامات قبلية مما ينم عن أصله العربي الأفريقى المختلط ، ولكنه يتميز بوجه باسم محبوب لدى الجميع ولعل مظهره العام كان غير مقبول ، ولكن كان يخفى من وراء ذلك ذكاءاً طبيعياً ورغبة ملحة فى أن يوسع أفق معارفه .

وكان يكمل مجموعة الضباط العرب على السفينة ضابط عربى صغير لم يعرف اسمه فى ذلك الوقت .

ومن بين من كان على ظهر السفينة أوروبى آخر كان يدعى جون البرتغالى ، كان سليمان قد اصطحبه معه ليكون طاهياً وخادماً على السفينة ، ولقد اتصف جون هذا بالدناءة والخسة والجشع فضلا عن القذارة البادية فى ملابسه وعاداته ، وكان لصاً خفيف اليد .

ولتكتمل الصورة التى توضح مظاهر العجب فى هذه الرحلة أن السفينة كانت تحمل ضمن ركابها سيدتين إنجليزيتين إحداهما مسز روبرت نورثورزى زوجة أحد التجار الإنجليز فى مسقط ووصيفتها مسز شارلوت طومسون ، وكانتا قد غادرتا مسقط على ظهر السلطانة فى طريق عودتهما إلى وطنهما فى إنجلترا ، وعند وصول السفينة إلى نيويورك وقفتا كغيرهما والإعياء والتعب باد عليهما ولكن نظراتهما إلى الميناء كانت تنم عن علامات البشر والسعادة بالوصول ، والشغف الشديد للهبوط من السفينة إلى نيويورك حيث

كانتا ستقيمان أسبوعين وتغادران بعدهما إلى لندن على سفينة بريطانية ، ولعل السفر هذه المرة سيكون فى ظروف أفضل مما لقيتاه على السلطانة .

وفى وسط هذه المجموعة المتنوعة من المسافرين على ظهر السفينة سلطانة كانت هناك شخصية كبيرة ، رجل عربى بدين قصير ، ذو لحية طويلة ، يلقى الاحترام والتبجيل من جميع من فى السفينة ، أحمد بن نعمان ، وكانت بشرته قمحية وعيناه قوية النظرات ، ولقد كان البعض يرون فيه رجلا عنيفاً صارماً ، بينما ينظر إليه الآخرون على أنه رجل طيب رقيق القلب مرهف الحس .

وقف أحمد بينهم شامخاً مهاباً ، وقد علت رأسه عمامة زاهية الألوان ، ولف وسطه بحزام من قماش الكشمير من نفس قماش العمامة ، وفوق سرواله وقميصه الأبيض الناصع لبس قفطاناً جميلا أسود اللون ، مطرزاً بخيوط ذهبية عند الأكتاف وعلى الصدر ، وكان شخصه بصفة عامة محاطاً بمظاهر الاحترام والمهابة .

ولشد ما أدهش رجال الميناء عندما تقدم إليهم هذا الرجل العربى يحدثهم بانجليزية واضحة ، ويعلن لهم أنه هو رئيس هذه السفينة لا سليمان ، وأن اسمه هو الذى يجب أن يظهر فى سجلات الميناء ، ففعلوا ما طلب وشطب اسم سليمان من السجلات وأحل محله اسم أحمد بن نعمان ووظيفته الممثل الشخصى لسعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار وتوابعهما ، وقد جاء فى رحلة طويلة دار

فيها حول نصف العالم تقريباً ممثلا لحاكم مسقط وعمان وزنجبار فى بعثة تجارية ، ومهمة للتعبير عن الرغبة فى الصداقة والسلام مع الولايات المتحدة .

رست سلطانة فى الميناء ، وكانت ترفرف عليها الراية القرمزية الزاهية الخالية من أى زخرف ، وهى الراية الأميرية التى ترتفع على قطع الأسطول العمانى ، وما أن ألقت السلطانة مراسيها حتى اقتربت منها سفينة حربية أمريكية كبيرة ذات ٧٤ مدفعاً من أسطول نيوكارولينا كانت راسية فى حوض بروكلين الخاص بالبحريـــة الأمريكية فى ميناء نيويورك ، وما أن اقتربت ووقفت بجانب السلطانة حتى تقدم منها ملازم بحرى حاد النظرات واتجه إلى حيث وقف أحمد ليعبر بالتحية وباسم رئيسه العميد البحرى جيمس رانشو مدير حوض الميناء عن الترحيب بالسفينة العربية ، وقبلت التحية والترحيب بتقدير من رجال سلطانة .

أكملت السلطانة الإجراءات الرسمية للرسو فى الميناء خلال يومين من وصولها ، أى الثانى من مايو سنة ١٨٤٠ ، واقتيدت إلى رصيف الميناء إلى موقع عند نهاية طريق ركتور فى النهر الشمالى ، وكانت السلطانة أول سفينة عربية تحمل أول بعثة رسمية تصل إلى شواطىء أمريكا للزيارة والتجارة .

(٢)

العلاقات العمانية الأمريكية

أدت رحلة أحمد بن نعمان هذه إلى نمو التجارة التى كانت وليدة بين أمريكا وبلاد السيد سعيد ، وكانت هذه التجارة قد بدأت من قبل منذ خمسة عشر عاماً على يد أحد التجار المستثمرين من بلدة سالم بولاية ماساشوستس ، غير أن أمريكياً آخر هو أدموند روبرتسون من أهالى بورتسماث فى ولاية نيوهامبشاير قد نجح فى إرسائها على أسس قوية مستندة إلى إتفاقية موقعة .

ولكى لا نغفل الحقيقة لابد لنا أن نذكر أن السفن الأمريكية كانت تصل إلى الموانى الجنوبية للجزيرة العربية منذ زمن مبكر فى أوائل القرن التاسع عشر ، وكان وصولها إلى الشواطىء العربية يتم وهى فى طريقها إلى الهند وجزر الهند الشرقية أو فى طريق عودتها منها ، ولكن رحلات السفن الأمريكية قد توقفت تماماً منذعام١٨١٢ بقيام الحرب وإعلان الرئيس الأمريكى جيفرسون مقاطعة السفن الأمريكية للمحيط الهندى .

ولقد بدأت السفن الأمريكية تظهر ثانية فى المحيط الهندى فى العشرينات المبكرة من القرن التاسع عشر ، وبدأت تظهر على شواطىء شرق أفريقية أولا بالرسو فى موانى موزمبيق ثم مدغشقر ، وأخذت بعد ذلك تتجه تدريجياً نحو الشمال حيث وصلت أول

سفينة أمريكية إلى زنجبار فى يوليه سنة ١٨٢٥ ، وكانت هذه السفينة الأولى التى وصلت بغد المقاطعة ، هى السفينة المسماة لوريل بقيادة العميد بحرى الكابتن بريانت ، وكانت قادمة من ميناء سالم فى ماساشوستس ، ثم أعقبها فى عام ١٨٢٦ أربع سفن أمريكية أخرى ، وتضاعف عدد السفن الأمريكية التى ترسو فى زنجبار فى العام التالى ١٨٢٧ .

ويتفق الظهور المفاجئ للاهتمام الأمريكى بزنجبار وشرق أفريقية بالصدفة مع زيادة اهتمام السيد سعيد بممتلكاته فى ساحل أفريقية ، وقد عرف السيد سعيد لدى المعاصرين من الأوروبيين والأمريكيين بلقب سلطان مسقط ، وأطلق عليه البعض خطأ لقب إمام مسقط ، أما هو فكان يحمل اسم ولقب « سعيد حامى الضعفاء والفقراء فى مسقط وتوابعها » .

وكان السلطان سعيد المشهور قد ورث عرش البوسعيد منذ عام ١٨٠٤ ، وقد استمر حكم السيد سعيد أكثر من نصف قرن من الزمان حتى عام ١٨٥٦ مما جعله أشهر أمير عربى حكم فى المنطقة. امتدت أملاك السيد سعيد الشاسعة من رأس الحد إلى مقاطعة ظفار فى جنوب شرق الجزيرة العربية ، ومن رأس جاردفوى إلى رأس دلجادو على طول ساحل شرق أفريقية ، حيث امتدت

أملاكه إلى أطراف النفوذ البرتغالى ، غير أن النفوذ الملكى البوسعيدى لم يكن كاملا فى كل الأنحاء ، فقد كان هناك تمرد وكانت هناك ثورات هنا وهناك تطبع الحياة السياسية فى عهد السيد سعيد .

وبالإضافة إلى تلك المشكلات الداخلية الممثلة فى عمليات التمرد المحلية ، وجد السيد سعيد نفسه متورطاً فى الصراع الفرنسى البريطانى للسيطرة على المحيط الهندى ، وهو الصراع الذى بدأ مع بداية الاضمحلال والضعف الذى أصاب الحكم البرتغالى منذ أوائل القرن الثامن عشر ، فقد اقتضت الحكمة أن يتعاون السيد سعيد مع بريطانيا التى نشطت لتحقيق هدفها المزدوج فى حماية خطها البحرى إلى الهند من جهة ومنع تجارة الرقيق من جهة أخرى .

ونتيجة لهذا النشاط أصبح النفوذ البريطانى محسوساً فى كل الأراضى المطلة على المحيط الهندى ، وأدى ذلك إلى أن السيد سعيد وقع مع بريطانيا معاهدة لمنع تجارة الرقيق عام ١٨٢٢ عرفت باسم معاهدة مورسباى ، جاءت تعزيزاً لمعاهدة سابقة كان قد وقعها سلفه حول نفس الأمر .

وبمجرد أن تولى السيد سعيد العرش بدأ يعمل على تثبيت سلطته وبسط نفوذه فى جميع أنحاء المملكة الشاسعة ، وكان همه الأكبر فى العشرين سنة الأولى من حكمه يتركز فى ثلاثة أمور ، أولها إصلاح أمور عمان الأصلية ، ثانيها صد الغزوات الخارجية ومواجهتهم فى داخل

الجزيرة العربية ، ثالثها محاولة إثبات كيانه فى وسط الحكام المتعددين فى الخليج . وقد نجح فى ذلك ولكن كان نجاحه نجاحاً وقتياً ، إذ سرعان ما سرت حمى الاضطرابات فى أنحاء كثيرة من عمان ، واستمر يقاسى منها حتى آخر أيامه ، ولئن اعتبر البعض جهوده هذه مظهراً من مظاهر الفشل إلا أنها أخذت على أنها محاولات للقضاء على القرصنة فى الخليج مما أكسبه بعض العطف من جانب بريطانيا ، وساعده ذلك كثيراً على تحقيق أهدافه فى جهات أخرى من البلاد التى لم تمتد إليها الثورات .

ومنذ العشرينات الأولى من القرن التاسع عشر ، بدأ السيد سعيد يوجه اهتمامه نحو شرق أفريقية حيث كانت الاضطرابات السياسية قد بدأت منذ وقت طويل وتبلورت دون أن تلقى رد فعل مباشر من السيد سعيد ، ولعل ذلك التحول السريع الذى وجه الاهتمام الجغرافى للسيد سعيد إلى شرق أفريقية هو تصرف سىء من جانب أحد الضباط البريطانيين هو الكابتن وليم أوين الذى أعان عام ١٨٢٤ الحماية المؤقتة على ممباسة وهدد باتخاذ نفس الموقف بالنسبة لجزيرة بمبا ، بحجة استجابته لطلبات شيوخ المزاريع ولجوئهم إليه للحماية ، وقد كان شيوخ المزاريع عشيرة سائدة فى ممباسة وبعض الجهات الأخرى من المملكة ، وقد أعلنوا إنكارهم لأحقية السيد سعيد فى تولى عرش عمان :

ولما لم يكن لدى أوين أى تفويض رسمى فقد سارعت الحكومة البريطانية ، حينما بدأت المواجهة مع السيد سعيد ، بسحب الإعلان ، أما بالنسبة للسيد سعيد فقد كانت حادثة أوين هذه درساً له ، على أن هناك فراغاً فى شرق أفريقية سوف تملأه إحدى القوى الأوروبية إذا ما تركه هو .

كانت زنجبار وممباسة تعتبران مفتاحا شرق أفريقية ، إذ تتميزان بموقعهما الدفاعى الآمن ، وكان يقوم على حكم زنجبار مفوض من أقارب السيد سعيد ، أما فى ممباسة فقد بقى المزاريع على عنادهم ، وفشلت كل المفاوضات فى تغيير وجهة نظرهم سلمياً ، وبناء على ذلك قام السيد سعيد بالتوجه على رأس أسطول كبير يحمل جيشاً ضخماً من مسقط إلى شرق أفريقية فى النصف الثانى من عام ١٨٢٧ .

وباستخدام المدفعية ، والخدعة الحربية عند الوصول إلى ممباسة استطاع إدخال حامية عسكرية إلى قلعة (فورت جيسوس) الحصينة التى تسيطر على المدينة . وبدا من أول وهلة أن التمرد أخمد وأن المهمة قد انتهت بنجاح ، ولهذا اتجه السيد سعيد بأسطوله إلى زنجبار المجاورة ووصلها فى أواخر يناير ١٨٢٨ فى أول زيارة له يقوم بها للجزيرة ، التى أصبحت فيما بعد عاصمته الثانية والمقر الرئيسى لإقامته .

وكان أول ما واجه السيد سعيد عند وصوله إلى زنجبار لقاءه مع روبرتس الذى كان فى حالة غضب شديد نتيجة لمعاملة السفينة

الأمريكية مارى آن ، وهى إحدى سفن نيوبدفورد الأمريكية ، وقد وصلت إلى زنجبار بقيادة الكابتن ستيفانس وعليها روبرتسون فى محاولة لاقتناص فرصة تجارية جديدة بعد أن ضاعت عليها الفرصة فى رحلتها إلى أمريكا الجنوبية ، وقد لقيت هذه السفينة بعض العقبات التى أقيمت فى وجهها ، إذ أرغمت على دفع سبعة ونصف فى المائة ضريبة مقابل الخمسة فى المائة التى كان يدفعها البريطانيون ، كما قام أحد كبار الموظفين الحكوميين بتفتيش بضائع السفينة بما وصفه روبرتس بأن فيه شيئاً من التعنت ، هذا فضلا عن أن ما اضطرت إلى دفعه من عمولات ورسوم عالية لرئ و السفينة أكثر بكثير مما كان قد اتفق عليه مسبقاً مما زاد الغضب والسخط ، ولم تكن هذه هى أول سفينة أمريكية تتعرض للمعاملة السيئة وتلقى الصعاب فى زنجبـــار .

وما كاد السيد سعيد يستقر فى قصر إمتونى الذى اتخذه مقراً له حتى وصله خطاب من روبرتس فى ٢٧ يناير سنة ١٨٢٨ يتضمن احتجاجاً على المعاملة السيئة التى لاقاها هو وأهل بلده فى الجزيرة ، وجاء فى هذا الخطاب — الذى كتبه روبرتس — مقدماً نفسه فيه إلى السيد سعيد على أنه القنصل الأمريكى — أن السفن الأمريكية التى قاست من كل تلك الصعاب غير مستعدة للعودة مرة أخرى إلى هنا ، وعرض فى الخطاب العلاقات بين زنجبار وأمريكا موضحاً أن هذه العلاقات هى فى صالح سلطان زنجبار وعمان ، لأن أمريكا —

بخلاف انجلترا وفرنسا — ليس لها أى خطط سياسية فى بلاده ، وأن اهتمام أمريكا يقتصر فقط على تنمية التجارة المشروعة مع زنجبار .

ولقد أعرب روبرتس فى خطابه عن استعداده أن يحمل رسائل السيد سعيد إلى الولايات المتحدة على أن تتضمن هذه الرسائل الشروط التى على أساسها يمكن للتجارة الأمريكية أن تلقى المعاملة فى الموانى الخاضعة لحكم السيد سعيد ، واقترح روبرتس مشروع معاهدة تجارية للتفاوض على أساسه ، وأضاف فى خطابه وعداً بأنه إذا تم الاتفاق والموافقة على هذه المعاهدة فان سفينة حرب أمريكية تأتى فى العام التالى حاملة المعاهدة بعد أن تكون الولايات المتحدة قد صدقت عليها .

ولئن كان علم السيد سعيد بالولايات المتحدة محدوداً للغاية ، وصورتها لديه غير واضحة ، إلا أن ما تقدم به روبرتس كان مثيراً للاهتمام لما قد يكون له من أثر فى زيادة إيرادات الخزانة التى كانت تعانى من ضغط المصروفات الشديد عليها ، فلقد كان السيد سعيد يحتاج إلى أموال طائلة للإنفاق منها على أسطوله الضخم ، ولدفع رواتب الجند ، وتسديد نفقات تسليحهم ، هذا فضلا عن الأموال التى يحتاجها لتقديم الهدايا والمنح لأتباعه من الحكام المحليين ، وما يحتاجه لمواجهة الصرف على الضيوف والزوار وغيرها من مستلزمات مظاهر الملك .

وكانت إيرادات الخزانة فى ذلك العهد تقتصر على الضرائب الزراعية التى قلما تعدت ٢٥٠ ألف كراون (ما يعادل نحو ٢٤٩ ألف دولار (فى العام ، وكان السيد سعيد قد أصبح بالفعل أكثر المستثمرين فى نطاق البلاد التى تتبعه ، وكان دائماً يبحث عن أسواق جديدة لتجارته ولتدعيم التجارة. انفتح باب جديد هو الحاجة إلى مستلزمات الدفاع والحرب وبخاصة من المدافع والقنابل والبارود وغيرها من الذخائر التى كان يود السيد سعيد بكل الوسائل أن يحصل عليها ولكن عن طريق غير طريق انجلترا وبدون علمها . وطبقاً لما عبر عنه السيد سعيد نفسه كانت آماله لا تقتصر على إخضاع سفن المتمردين فحسب ، بل كان يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير وهو طرد البرتغاليين من موزمبيق .

وبناء على الأوامر دفع رربرتس الرسوم فوراً ، ثم وافق السيد سعيد على مقابلته على ملأ من الناس بعد ذلك بأيام ، وكان إصرار السيد سعيد على تسديد الرسوم أولا لمحة ذكاء من حاكم يريد أن يبدى عدم الاكتراث بتجارة الولايات المتحدة مع زنجبار ومسقط ، وعلى ذلك قلما وجه السيد سعيد إلى روبرتس سؤالا عن الأسباب التى جعلت الولايات المتحدة لا تدخل فى معاهدة تجارية معه مثلما فعلت حكومة الإنجليز. لقد أصبح اقتراح روبرتس الذى سبق تقديمه ، هو اقتراح من جانب السيد سعيد وتكاليف منه

لروبرتس أن يبلغ حكومة الولايات المتحدة عن استعداده لعقد إتفاقية تجارية ، وأنه متحمس للملك .

وحينما عاد روبرتس إلى الولايات المتحدة فى السنة التالية طلب من صهره عضو مجلس الشيوخ الأمريكى عن ولاية نيوهامبشاير السناتور ليفى وودبرى أن يساعده فى تنفيذ خطته ، وأخذ وودبرى على عاتقه أمر إثارة اهتمام زملائه التجار للملك ، ولكن لم تجد هذه المحاولات ، لأن مسقط وزنجبار لم تكونا معروفتين لمعظم الأمريكيين فى ذلك العصر ، وكانت الردود التى تلقاها على هذه المحاولات أنه لا توجد فى الكتب معلومات واضحة عن مسقط وزنجبار حتى يمكن الرجوع إليها ، وقد كان فى إمكان رجال مدينة سالم أن يقدموا مثل هذه المعلومات ولكنهم آثروا الصمت حفظاً للمعلومات لأنفسهم حتى لا يشجعوا المنافسين لهم للإتجار فى تلك المناطق .

وعلى كل حال فان فرص التجارة مع جزر الهند الشرقية والشرق الأقصى وكذلك اليابان كانت مشجعة للأمريكيين الذين كانوا ينتظرون لها مستقبلا زاهراً ، غير أنه لم يكن هناك أى تفكير فى ذلك من جانب الحكومة ذاتها حتى أواخر عام ١٨٣١ حينما أصبح وودبرى سكرتيراً للبحرية الأمريكية وتبلورت لديه فكرة زيارة مجموعة صغيرة من سفن الأسطول الأمريكى للمحيط الهندى وانتهت الفكرة إلى قرار بارسال بعثة إلى سيام والهند الصينية واليابان إذا أمكن ، كما أشير إلى القوى العربية فى الجزيرة العربية والبحر

الأحمر ضمن المناطق التي سيزورها الأسطول ، ونص على أن الهدف من إرسال البعثة هو العمل على عقد معاهدات أو اتفاقات تجارية مع تلك الدول .

استخدم وودبرى نفوذه لتكليف صهره روبرتس بالمهمة السرية لهذه البعثة ، وتأكد بنفسه من إرسال خطابات اعتماده كمندوب لدى السيد سعيد ، وتضمنت هذه الخطابات رسالة من الرئيس الأمريكي جاكسون معبراً فيها عن رغبة الولايات المتحدة فى عقد معاهدة مع زنجبار .

وأبحر روبرتس من الولايات المتحدة فى مارس سنة ١٨٣٢ على ظهر السفينة بيكوك التى كان يقودها الكابتن ديفيد جيزنجر إلى المحيط الهندى ، ولكى لا تتدخل القوى المعادية وضع اسم روبرتس فى سجلات السفينة على أنه الكاتب الخاص لقائد السفينة .

وصلت السفينة بيكوك إلى مسقط فى سبتمبر سنة ١٨٣٣ بعد أن أتمت المهام الموكولة إليها فى المحيط الهندى ، وكان السيد سعيد فى ممباسة فى ذلك الوقت ، وكاد يتم الوصول إلى اتفاق على معاهدة الصداقة والتجارة التى عدلتها وزارة الدولة الأمريكية وزودت بها روبرتس قبل سفره بقليل .

تضمنت المعاهدة ضمن نصوصها العديدة نصاً على أن تكون تعريفة الاستيراد الموحدة التى تسددها التجارة الأمريكية فى الموانى التابعة للسيد سعيد خمسة فى المائة فقط ، كما نصت المعاهدة على بعض

الامتيازات الأخرى للتجار الأمريكيين ، وقام سعيد بن خلفان الذى كان قبطاناً فى أسطول السيد سعيد بدور المترجم ، وقدم على الفور النص العربى للوثيقة وفقاً لما طلب إليه .

وبعد مضى بعض الوقت اكتشف أن هناك اختلافاً بين النص العربى والنص الإنجليزى فى كثير من أجزاء المعاهدة ، ولم تعرف حقيقة الأمر ، إن كان خطأً فى الترجمة أم أمراً متعمداً ، ولقد كان هذا الخطأ متعلقاً بسوء فهم بعض ما يتعلق بمستقبل العلاقات فى السنوات المقبلة .

ورغم وجود هذا الخطأ ، فقد سارت الأمور سيراً حسناً ، فعندما غادر روبرتس مسقط حمل معه خطاباً مع السيد سعيد موجهاً إلى « فخامة رئيس الولايات المتحدة القوى المعظم الذى ملأ صيته العالم كله » ، واشتمل الخطاب على تعبير السيد سعيد عن سروره لنجاح نتائج المفاوضات التى انتهت إلى المعاهدة ، وتعهد بالتمسك بتنفيذ المعاهدة بدقة وإخلاص . ورفض روبرتس بأدب شديد حمل الهدايا التى أراد السيد سعيد إرسالها معه إلى الرئيس الأمريكى موضحاً أنه موظف تنفيذى ممنوع عليه تلقى أى نوع من الهدايا .

وبعد أن صدق على المعاهدة فى الولايات المتحدة فى ٣٠ يونيه سنة ١٨٣٤ أرسل روبرتس مرة أخرى كمبعوث خاص على ظهر السفينة بيكوك تحت قيادة القبطان آدمو ندكندى لتبادل وثائق التصديق بعد رحلة شاقة جنحت فيها السفينة بيكوك عند جزيرة مصيرة ،

وصلت السفينة إلى مسقط وتم تبادل وثائق التصديق على المعاهدة فى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٣٥ ، وتفضل السيد سعيد فطاب من روبرتس تحديد التاريخ الذى تصبح فيه المعاهدة نافذة المفعول ، وبعد تردد من جانب روبرتس اقترح ٣٠ يونيه ١٨٣٤ تاريخاً لنفاذ المعاهدة ، وهو تاريخ التصديق عليها من الولايات المتحدة ، فتفضل السيد سعيد بالموافقة على ذلك وبعدها أصبحت المعاهدة نافذة المفعول ، وأرسل روبرتس الخطابات إلى رؤساء الهيئات الأمريكية التى تمتلك السفن التجارية ، وإلى جميع السفن الأمريكية التى تصل إلى زنجبار فى رحلاتها ، بما جاء فى هذه المعاهدة للأخذ به ، وأرسلت خطابات مماثلة كذلك إلى جميع الرسميين المختصين فى حكومة السيد سعيد .

ومع أن المعاهدة أصبحت نافذة المفعول منذ تاريخ سابق ، إلا أن السفن التى كانت قد سددت رسوماً أكبر من النسبة المقررة — فيما بين تاريخ النفاذ وتاريخ التصديق — وعددها ستة عشر سفينة لم تتقدم بأى طلب لرد فروق هذه الرسوم ، بذلك بدأ التنفيذ الفعلى للمعاهدة دون أية مشاكل ، وأصبح لأدموند روبرتس فضل إقامة التجارة الأمريكية مع مسقط وزنجبار على أسس ثابتة أفادت منها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والأمة العربية فى عمان وتوابعها ، ولسوء الحظ لم تمهل المنية روبرتس حتى يرى نتائج عمله فقد توفى فى ١٢ يونيه عام ١٨٣٦ فى موناكو نتيجة إصابته بدوسنطاريا مزمنة أصابته فى سيام واستمرت معه أثناء تبادل وثائق التصديق فى مسقط .

ولقد أصبحت التجارة الأمريكية مع زنجبار تبشر بالفعل بمستقبل زاهر ، فعلى سبيل المثال بلغ جملة عدد السفن الأجنبية التى رست فى ميناء زنجبار فى الفترة من سبتمبر ١٨٣٢ إلى مايو ١٨٣٤ إحدى وأربعين سفينة ، كان من بينها ٣٢ سفينة أمريكية بلغت جملة حمولتها ٥٤٩٧ طناً ، ومن بين هذه السفن الأمريكية عشرين سفينة أتت من ميناء سالم فى ماساشوستس ، وثلاثة من نيويورك وبوسطن والباقى من موان أمريكية أخرى لم يسجل إسمها ، وكان ذلك فى مقابل سبعة سفن بريطانية وسفينة واحدة من كل من فرنسا وأسبانيا أما عن ميناء مسقط فلم يكن له من التجارة الأمريكية مثل ما كان لزنجبار ، فقد دخلته سفينة أمريكية واحدة فى مدة السنوات السبع التى بدأت من سنة ١٨٣٥ .

وطبقاً لنصوص المعاهدة الأمريكية عينت أمريكا قنصلا تجارياً لزنجبار ومسقط ، وكان ذلك القنصل هو ريتشارد بالمر ووترز من مدينة سالم بولاية ماساشوستس ، ولقد انضم إليه فى العمل ابتداءاً من شهر مارس ١٨٣٧ ممثل المؤسسة بروتردام وشبرد وهو من مدينة سالم أيضاً ، ثم وصل إلى مسقط بعد ذلك فى أكتوبر ١٨٣٨ هنرى مارشال عضو غرفة المحاسبة فى مؤسسة سكوفيل وبرتون التى تعمل فى نيويورك ، ولكنه غادرها بعد شهور قلائل لأسباب يغلب أن تكون شخصية محضة ، وقد اقترح عند مغادرته أن يقوم سعد ابن خلفان — الذى ترجم المعاهدة — بتولى أعمال القنصلية فى مسقط

إذا إقتضى الأمر ، ولكن لم يعين سعيد بن خلفان فى وظيفة القائم بالأعمال للقنصلية الأمريكية فى مسقط إلا عام ١٨٤٣ وفى الفترة السابقة للملك كان ووترز يتولى المسئولية .

ولقد كان ووترز طيلة هذه المدة يتظاهر بالإفلاس ويعلن أمام السفن الأمريكية التى تحمل كميات كبيرة من البضائع أنه فى عسرة مالية وكان يحول تسعة أعشار العمل إلى أخيه عن طريق جيرام ابن سيواجى المتولى لشئون الهند فى زنجبار ، وأدى ذلك إلى أن الكثير من التجار الأمريكيين المترددين على زنجبار يتهمونه بأنه يقوم بتصرفات احتكارية ، ويتقدمون ضده بشكاوى إلى وزارة الدولة ، غير أن كل الشكاوى التى أرسلت ضده ، لم تأت بنتيجة تذكر .

ومهما يكن من أمر فان وجود ووترز فى زنجبار قد ساعد على الإسراع فى تنمية التجارة مع الولايات المتحدة ، فكانت السفن الأمريكية تحمل إلى زنجبار المنسوجات القطنية والأوانى الفخارية ، والبنادق والبارود ، ومستلزمات بناء السفن ، والساعات والأحذية وغيرها من المصنوعات ، وكانت تعود إلى أمريكا من زنجبار محملة بالصمغ والقرنفل والعاج وغيرها ..

(٣)

فكرة الرحلة

كان لنمو التجارة مع الولايات المتحدة أثرها الطيب فى نفس السيد سعيد باعتباره المستفيد الأول من هذه التجارة ، ولقد كانت شخصية ووترز فى أول الأمر عقبة فى سبيل نمو هذه التجارة لما امتاز به ووترز من الصرامة وعدم قبول التنازلات ، على أنه أمكن فيما بعد أن يتم تفاهم متبادل بينه وبين السيد سعيد .

ولقد اعتبر ووترز السيد سعيد هو أكبر عميل للتجارة الأمريكية فى التقارير التى قدمها ، ولئن كانت هذه التقارير تفتقر إلى الإحصائيات الدقيقة إلا أن حجم مشتروات السيد سعيد كما يبدو قد تعدت الخمسة والثلاثين ألف دولار فى مارس عام ١٨٤٥ وهو الوقت الذى كانت التجارة فيه قد بدأت تتناقص ، ووصف مساعد ووترز هذا المبلغ بأنه عملية صغيرة بالنسبة للسلطان ، الذى كان يعتبر تاجر الجملة الرئيسى فى نطاق مملكته .

إن الطريقة التى يتبعها السلطان فى بيع البضائع المستوردة بسيطة للغاية ولكنها فى نفس الوقت ذات فعالية كبيرة ، وهى كما وصفها أحد المراقبين الأمريكيين ، أن السيد سعيد يستدعى عدداً من التجار الهنود ويقسم بينهم ما يستورده بكميات تتناسب مع حجم النشاط

التجارى لكل من هؤلاء التجار ، وكانت تفرض عليهم البضائع بصرف النظر عن حالة الطلب على السلعة فى السوق المحلية ، وكان هؤلاء التجار يسددون قيمة البضاعة الأصلية مضافاً إليها ٢٠ أو ٢٥ فى المائة ، ولئن كانت هذه الطريقة تبدو الآن وكأن فيها شيئاً من التحكم ، إلا أنها كانت الطريقة السائدة فى الشرق كله .

ولقد امتلأ ذهن السيد سعيد بفكرة تنشيط التجارة بارسال سفينة إلى الولايات المتحدة ، وسأل نفسه هل يمكن أن ينمى إرسال مثل هذه السفينة الاتصالات التجارية المباشرة لكى لا يستمر الاعتماد فى التجارة مع الولايات المتحدة على السفن الأمريكية التى تأتى إلى زنجبار بالبضاعة وتحمل منها البضاعة إلى أمريكا ؟ .. وقد بدأت هذه التساؤلات التى أثارت الفكرة فى ذهن السيد سعيد وساعد على ذلك أن أسطوله الذى يتكون من عشرين سفينة مختلفة كان يجوب المحيط الهندى فقط بحثاً عن التجارة فى أوقات السلم التى لا يستعمل فيها الأسطول لأغراض أخرى .

وكان فى مناسبة لقائه الأول مع روبرتس فى يناير عام ١٨٢٨ قد اقترح أن يرسل إحدى الفرقاطات التى كانت فى المحيط الهندى إلى الولايات المتحدة بمجرد عودتها إلى ميناء زنجبار لكى تشترى بعض الذخائر والبضائع من أمريكا .

.. غير أن السيد سعيد كان متردداً فى تنفيذ الاقتراح ويرجع هذا التردد أساساً إلى عدم وجود القبطان المناسب لقيادة هذه الرحلة

الطويلة ، ذلك أن معظم بحارة السيد سعيد لم يكونوا قد اجتازوا البحار فيما وراء رأس الرجاء الصالح بجنوب أفريقية ، ولما كان تفكيره في أن يقوم روبرتس نفسه بالسفر على السفينة ، غير أنها تأخرت بصورة لم تكن متوقعة ، وكان روبرتس يستعجل العودة إلى بلاده بعد انتهاء مهمته مما أدى إلى صرف النظر عن الفكرة من أساسها ، وبالإضافة إلى ذلك فان ما حدث للسفينة بيكوك جعل السيد سعيد يعطي وعداً لروبرتس بأن يرسل سفينتين بدلا من سفينة واحدة ، إحداهما تحمل طاقم السفينة بيكوك إلى وطنهم ، وتكون الثانية تحت تصرف روبرتس ليكمل رحلته فى المحيط الهندى والتى يتجه بعدها إلى الولايات المتحدة .

ولقد ظن البعض أن من وراء هذا الكرم الذى أبداه السيد سعيد غرضاً إقتصادياً هو أن تعود السفينتان محملتين بالبضائع ، غير أن هذه الخطط كلها فشلت إذ قد تم إصلاح السفينة بيكوك ، ووصلت سالمة إلى مسقط ثم تابعت رحلتها إلى بمباى لإجراء الإصلاحات اللازمة فيها .

تأجل تنفيذ المشروع مدة أطول بوصول ووترز إلى زنجبار ، ولقد قال البعض إن ووترز حاول أن يثنى السيد سعيد عن إرسال إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة لأن الصلة القوية بين ووترز وأصحاب المصالح التجارية فى سالم جعلته لا يشجع على التعجيل بتنفيذ خطة السيد سعيد ، غير أنه لا يوجد دليل يثبت هذا الزعم .

وفى أبريل ١٨٣٩ وصلت إلى زنجبار السفينة ارشيبا لدجرامى بقيادة الكابتن ساجارى من نيويورك ، وقد أدى وصول هذه السفينة إلى إحياء الفكرة ثانية ، لقد جاءت هذه السفينة من مؤسسة جديدة تكونت فى نيويورك تحت اسم مؤسسة سكوفيل وبريتون ، وتحمل على ظهرها إدجار يوتسفورد كمدير للبضائع ، وكذلك المستشار المختص بشئون بمباى ويسمى ر . ستار باركر ، وكلاهما من هذه المؤسسة الجديدة .

وحتى وصول هذه السفينة لم تكن الشركات البحرية القائمة فى نيويورك قد أبدت اهتماماً كبيراً بالتجارة مع زنجبار ومسقط ، إلا أن مؤسسة سكوفيل وبريتون قد بدأت توجه اهتماماً خاصاً إلى هذه المنطقة ، ويرجع ذلك إلى أن المساهمين الرئيسيين فى هذه المؤسسة قد نجحوا فى الحصول على معلومات كان قد جمعها أدموند روبرتس عن إمكانيات الإتجار مع بلاد السيد سعيد ، ولقد ساعد على ذلك أن هاريت ابنة روبرتس كانت قد تزوجت من عضو الكونجرس أماسا باركر الذى أصبح فيما بعد قاضى نيويورك ، وكان صديقاً لكل من سكوفيل وبريتون ، ومن خلال هذه الصلة استطاعا التوصل إلى معلومات دقيقة من مذكرات روبرتس التفصيلية عن مسقط وزنجبار . وكان روبرتس قد احتفظ بأصولها ضمن ممتلكاته الخاصة واعتاد أن يرسل إلى وزارة الدولة صوراً منها ، ولما مات انتقلت هذه الأوراق إلى أولاده .

ولقد نجح بتسفورد فى تسويق بضائع قيمتها ٢٠ ألف دولار ، مما دفعه إلى استحثاث السيد سعيد على فتح طريق مباشر للتجارة بين بلاد السيد سعيد ونيويورك ، لم يهتم السيد سعيد فى أول الأمر مدفوعاً بتكتيك خاص من جهة وليتجنب مواجهة ووترز من جهة أخرى ، رغم تلقيه هدية قدمت له وسعد بها وتتكون من بندقية جديدة ذات ثمانية طلقات لم يسبق له رؤيتها من قبل .

على أنه فى اجتماع تم فيما بعد مع بتسفورد وافق على أن يقيم تجارة مباشرة مع نيويورك ، وقد تصرف سكوفيل وبتسفورد بطريقة مخالفة للطريقة التى تصرف بها تجار مدينة سالم من قبل ، فقد أمكنهما تشجيع الحاكم العربى على أن يرسل إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة ونظراً لأن مؤسستهما لم يكن لديها السفن الكافية بحيث تخصص بعضها للتجارة مع شرق إفريقية ، جاء ترحيبهما بهذه الفكرة كعمل له فائدته .

وحينما غادرت السفينة ارشيبالد جراسى من زنجبار تجاه مسقط وبمباى كان السيد سعيد قد اقتنع تماماً بفكرة إرسال إحدى سفنه إلى نيويورك ، وأصدر أوامره للسفينة سلطانة التى كانت آنذاك فى بمباى لتستعد وتتهيأ لهذه الرحلة .

كانت السفينة « سلطانة » بين السفن العديدة التى يمتلكها السيد سعيد هى أحسنها وأنسبها لهذه المغامرة ، وقد سماها باسم زوجته الأولى السلطانة عزة بنت الأمير سيف الحاكم فى شيراز الفارسية .

وكانت « سلطانة » أيضاً تتميز بأنها أحدث وأسرع سفن الأسطول العمانى ، وكانت أيضاً مزودة بطاقم أشرعة ممتاز ، وقد وصفها القبطان الأمريكى الذى قادها بأن أشرعتها كانت تحتضن الريح وتوجه به السفينة إلى حيث تريد ، ووصفها هذا القبطان أيضاً بأنها كانت رطبة كعلبة المضخة ، وقد جعلتها هذه الصفات قادرة على أن تمخر عباب أى بحر وتتخطى بأشرعتها المنشورة أى عقبة تقابلها فى البحار العليا .

ولقد كانت سلطانة فوق ذلك رمزاً لفخر السيد سعيد ، وعرفاناً للجميل من جانب الأمريكيين ، ذلك أنه بمجرد وصول أخبار جنوح السفينة بيكوك الأمريكية عند جزيرة مصيرة سنة ١٨٣٥ ، سارع السيد سعيد باصدار أوامره إلى سلطانة التى كانت فى ذلك الوقت فى ميناء مسقط أن تتجه من فورها إلى السفينة الأمريكية لإنقاذها .

وبناء على هذه الأوامر اتجهت السلطانة إلى جزيرة مصيرة حيث التقت بالسفينة بيكوك وكانت جانحة على بعد خمسين ميلا من الجزيرة وكان قائدها قد استطاع أن يلقى أكثر ما عليها من بضائع فى محاولة لإنقاذها من الغرق ، وجرتها سلطانة إلى ميناء مسقط فى رحلة خطيرة ولكنها ناجحة..

وفى أوائل أغسطس عام ١٨٣٩ أعلن السيد سعيد عن نيته فى أن يرسل « سلطانة » إلى الولايات المتحدة وأخبر ووترز بذلك ،

وكان يعلم أن القنصل ووترز يأمل العودة إلى الولايات المتحدة على ظهر هذه السفينة ولقد قوبل هذا الخبر بكثير من الإمتنان ، ولكن السيد سعيد كان مدفوعاً إلى ذلك أيضاً بادراكه عدم وجود قبطان مناسب ليقود السفينة إلى أمريكا .

حدث أن السيد سعيد قد تحدث مراراً إلى ووترز فى أن يساعد فى الحصول على أحد من الزملاء من سفن البحرية الأمريكية التى تأتى إلى زنجبار ليقود السفينة التى ينوى إرسالها عبر المحيط الأطلسى إلى أمريكا ، وكان ذلك قبيل سفر السيد سعيد إلى مسقط فى سبتمبر عام ١٨٣٩ ، وحينذاك اعترف له ووترز بعدم قدرته على قيادة السفينة بنفسه ، وإن كان يتوقع فقط أن يبحر عليها لولا أن موعد رحيلها لم يتحدد ، وبسبب المعلومات التى عرفها عن سلوك سليمان قائد السفينة ، ثم كان وصول السفينة الكافاليير من سالم مما جعله يعجل بالإبحار إلى الوطن عليها فى يناير سنة ١٨٤٠ .

ومع ذلك فإنه عند مغادرته زنجبار كان يتوقع أن يكلفه السيد سعيد بتولى أعماله فى الولايات المتحدة ، وأن يبعث معه بهدايا إلى إدارة الرئيس الأمريكى ، ولكن ذلك لم يتم على ما كان يهوى .

وحينما جاء دور اختيار المبعوث الذى سيمثله فى الولايات المتحدة وجد السيد سعيد صعوبة كبيرة فى الأمر ، إذ أنه كان يتوق إلى أن تنجح البعثة فى مهمتها وتثير اهتمام وإعجاب الأمريكيين لأقصى درجة ممكنة ، وعلى هذا فكان أول من اختاره هو أحد أصهاره

ويسمي سيد حسن بن إبراهيم ، الذى لمس فيه أنه على استعداد لقبول المهمة ، وكان على مستوى تعليمى راق إذ تلقى تعليمه فى الهند ، وكان يجيد اللغة الإنجليزية ويتميز بالذكاء والجاذبيةالشخصية وكان السيد حسن أيضاً ممن حاز إعجاب الأمريكيين والأوروبيين الذين يعرفونه ، وقد اعتبره ووترز أفضل من يقوم بهذه المهمة ، ولكن السيد حسن أشفق على نفسه من المغامرة وخشى من عدم نجاحها بالصورة التى يرتضيها ، فضلا عن عدم رغبته فى تحمل مشقات السفر الطويل غير المريح ، فجعله ذلك كله يدعى المرض ، فاضطر السيد سعيد إلى اللجوء إلى سكرتيره الخاص أحمد بن نعمان ليقوم بالمهمة .

وأحمد هذا هو ابن نعمان بن محسن بن عبد الله بن الكعبي البحرانى ، ولد فى البصرة عام ١٧٨٤ حيث تلقى تعليمه الإسلامى ، وكان أبوه عربى الأصل من نسل بنى كعب حيث استوطنوا ساحل الخليج ، أما أمه فقدكانت فارسية الأصل ، ولا يعرف شىء عن طفولته ، أو عن حياته الأولى ، ولكن يقال أنه بدأ حياته كغلام يخدم على ظهر سفينة ، وقد أظهر فى عمله ذكاء وقدرة نادرة جعلته يترقى سريعاً فى أعمال البحرية ، وهناك دلائل كثيرة على أمانته وتقواه ، غير أن الكثير من حساده كانوا يحاولون النيل منه بأن يلصقوا به بعض التهم الكاذبة ، وفى بعض الأوقات كانوا يتهمونه بأنه ذو وجهين .

كان أحمد قد التحق بخدمة السيد سعيد فى مسقط فى أوائل العشرينيات ، ويقال أنه سافر إلى الصين وإلى مصر وإلى أوروبا فى مهمات عديدة ممثلا لسيده ، وكانت معظم هذه المهمات هى مسئوليته عن البضائع الخاصة بالسيد سعيد ، أو كمدير للسفن التجارية التى كان يسافر عليها . وقد سافر الحاج أحمد إلى مكة لأداء فريضة الحج فى تاريخ غير معروف بالدقة ، ولكنه يحتمل أن يكون فى عام ١٨٢٤ وهى السنة التى قام فيها السيد سعيد نفسه برحلة الحج الكبرى فى حياته .

واستمر أحمد فى عشر السنين التالية يكلف بمهمات تجارية خاصة بالسيد سعيد ، وفى عام ١٨٣٥ أصبح سكرتيراً خاصاً للسيد سعيد ، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاة السلطان ، وكان كثيراً ما يكلف بالأعمال التى لها اتصال مع ووترز ، وعلى الرغم من أن ووترز لم يكن يعبأ كثيراً بالحاج أحمد فى عام ١٨٤٠ ، إلا أن السنين قد ساعدت على نمو الصداقة بينهما .

وبعد أن استقر الرأى على اختيار سلطانة للسفر إلى أمريكا ، وأن أحمد هو المبعوث الذى سيقوم بالمهمة ، بدأ الاستعداد للرحلة وظلت السفينة راسية فى ميناء مسقط من ١٦ إلى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٩ تشحن بالبضائع ، ثم أبحرت إلى زنجبار لتأخذ مزيداً من البضائع ، وأصبحت مستعدة فى أوائل فبراير ١٨٤٠ لتعبر المحيط الأطلسى .

وكان الميناء الوحيد الذى رست فيه قبل نيويورك هى ميناء سانت هيلانه حيث قام أحمد بزيارة رسمية لحاكمها ، وقدم له زجاجة من العطر الوطنى كهدية له من السيد سعيد ، وكانت مدة السبعة والثمانين يوماً التى قضتها السفينة سلطانة فى رحلتها إلى نيويورك ليست أكثر من التى كانت تقضيها السفن الأمريكية المماثلة ، إن لم تكن أقل منها ، فعلى سبيل المثال قضت السفينة كافالير التى سافر عليها ووترز مائة وستة عشر يوماً لتصل إلى مدينة سالم .

(٤)

سلطانة فى نيويورك

كانت نيويورك عام ١٨٤٠ حينما وصلتها سلطانة مدينة فتية بهيجة صاخبة مليئة بالنشاط والحيوية ، تنمو نمواً سريعاً الغاية ، فقد تضاعف عدد سكانها فى العشر السنوات السابقة حتى بلغ ٣٢٠ ألف نسمة ، وكان هذا النمو فى ازدياد مضطرد ، وخلال شهر مايو الذى وصلت فى أوائله السفينة سلطانة رست بالميناء المزدهر المستمر الازدهار نحو ١٨٥ سفينة أخرى .

وكان من دواعى فخر نيويورك على غيرها من مدن العالم فى ذلك الوقت صحافتها المتطورة ، فكانت تصدر بها عشر جرائد يومية تمتلىء صفحاتها بملخصات عن التطورات المحلية والشئون المدنية ، والمشاكل المحلية مثل مشكلة استقلال تكساس ومشكلة ثورات الهنود الحمر فى فلوريدا وغيرها من مشكلات العصر التى كانت تشغل أذهان الناس ، وبمجرد وصول حقيبة البريد مع إحدى السفن الآتية من أوروبا كانت صفحات هذه الجرائد تمتلىء بأخبار منقولة عن صحف أوروبا .

وفى نفس الوقت كانت مدة رئاسة الرئيس مارتن فان بورين قد قاربت على الانتهاء ، وكانت أخبار انتخابات الرئاسة تحتل العناوين والصفحات الرئيسية ، ومن أهم تلك الأخبار أخبار الاجتماع

الذى عقده الحزب الديمقراطى فى بلتيمور فى الخامس من مايو ، أى بعد وصول أحمد بأيام قليلة ، وتقرر فيه أن يرشح فان يورين للمرة الثانية فى انتخابات الرئاسة ، وبعدها بقليل رشح حزب المحافظين وليم هنرى هاريسون ، وبذلك دخل كل من الديمقراطيين والمحافظين المعركة الانتخابية بكل قواهم ، وهكذا كانت نيويورك فى مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر فى قمة نشاطها وحيويتها.

ولقد كتبت جريدة الهيرالد الصباحية تصف نيويورك « ماأروع هذه المدينة ، إنها مليئة بالمفاجآت ، والمرح والغرائب وكل ما يثير الدهشة ، إن الأحداث المثيرة فيها لا تتوقف ، فكلما انتهى حدث مثير حل محله حدثان أو ثلاثة أو أكثر » ...

وصل أحمد مبعوث السيد سعيد فى هذه الظروف ، فأعطى وصوله أهالى نيويورك مادة جديدة للإثارة ، وفرصة جديدة للمشاهدة والمتابعة والتعليق ، وهيأ فرصاً أكبر لمن يريدون كتابة القصص ، ويذكر البعض أن أهالى نيويورك قد وجدوا فى حضور أحمد إثارة أكثر من إثارة زيارة الراقص النمساوى ، وجولات الهولانديون بسراويلهم القصيرة فى حفلات الرقص .

كان لخبر وصول أحمد وقعاً غريباً على أهالى نيويورك ، فاهتمت به صحيفة الهيرالد الصباحية المشهورة التى يرأس تحريرها جيمس جوردن بنيت ، وكذلك جريدة صحافة نيويورك (نيويورك بريس (وقد عبرت الهيرالد الصباحية عن ذلك بقولها « إنها مفاجأة

مثيرة حقاً لنا نحن الأمريكيين » . كما ذكرت الهيرالد عن أن السيد سعيد شخصية هامة لها صفة الطموح إلى جانب حبه للاستثمار ، وشبهته فى ذلك بشخصية محمد على فى مصر .

على أن هذه المقارنة بين شخصية السيد سعيد وشخصية محمد على مقارنة غير دقيقة ، وإن كان هناك أوجه شبه من بعيد ، ذلك أنه إذا دققنا النظر نجد أن كلا من محمد على والسيد سعيد قد حكما فى زمن متعاصر تقريباً ، وقد تبادلا الرسائل حول مشاكلهم المشتركة. وقد أدى الانتصار الذى أحرزه محمد على إلى أن السيد سعيد غير من خططه بالنسبة لشرق إفريقية ، ومع ذلك فقد ظهرت أزمة متصاعدة منذ عام ١٨٣٩ حينما انكشف ا الحاكم ،صر الباشا من اطماع فى جنوب الجزيرة العربية .

ولقد نشرت جريدة البوست المسائية أنباء عن المساعدة التى قدمها السيد سعيد للسفينة بيكوك ، وأضافت أنه لا يوجد فى العالم المسيحى من يتصف بالأخلاقيات السامية التى أصبح العالم ينظر إليها باعجاب وتقدير مثل ما ظهر فى هذه المساعدة من جانب حاكم مسقط ، كما ذكرت أيضاً جريدة نيويورك الأمريكية أنه يجب تقديم كل التسهيلات الممكنة من جانب الحكومة للبعثة الأولى التى أرسلها الحاكم العربى للتجارة مع العالم الجديد ، ويجب أن تكون

هذه التسهيلات لائقة بما قوبل به الأمريكيون من معاملة حسنة فى بلاده وما غمروا به من كرم عربى بالغ .

وكانت الاستجابة للملك فى نيويورك فعالة ، فبمجرد التعرف على شخصية أحمد سارع العميد البحرى رانشو بابلاغ هيئة نواب الحاكم فى مجلس نيويورك عن مركز المبعوث ، وعن طبيعة المهمة التى أتى بها فى هذه الزيارة البالغة الأهمية على ظهر السفينة سلطانة ، وقد أبدى رانشو فى إبلاغه لهيئة نواب الحاكم استعداده الشخصى للتعاون وتقديم التحيات اللازمة لمبعوث السيد سعيد .

وبناء على هذه المعلومات اجتمعت هيئة نواب الحاكم المتفرعة من المجلس العام للمدينة فى ٤ مايو سنة ١٨٨٠ لوضع صيغة الترحيب بالمبعوث العربى ، وتضمنت هذه الصيغة اعتبار وصول السفينة سلطانة خطوة أولى لتدعيم الصداقة والتجارة بين البلدين ، وأضاف البيان أنه نتيجة للرغبة المتبادلة فى ذلك فان الصداقة والتجارة بين البلدين سوف تتقدم بسرعة كبيرة ، وعبرت الهيئة فى بيانها عن الترحيب بوصول السفينة وكذلك تحية لأحمد بن نعمان قائد السفينة السلطانة .

واجتمعت هيئة المساعدين فى نفس اليوم ، وهى هيئة مشتركة من كل من المجلس العام للمدينة ونواب الحاكم وقررت تكوين لجنة استقبال تضم خمسة أعضاء من كل من الهيئة والمجلس لتقديم التحية والترحيب باسم المدينة .

وبمجرد أن شاعت أخبار وصول السفينة العربية اندفع الكثير من أبناء نيويورك إلى رصيف الميناء حيث تجمهروا لإلقاء النظرة على السفينة العربية ومشاهدة طاقمها العربى غير المألوف لديهم ، ولم يرق للبحارة أن يأتى الناس لمشاهدتهم فتركوا ظهر السفينة ولجأوا إلى ممراتها للاختفاء من أوجه الناس الفضوليين .

وفى ٨ مايو أدرك عمدة المدينة فريدريك ليلر خطورة المضايقات التى تحدث للبحارة ، وبدأ ينظم عملية إبعاد الجماهير عن السفينة ، ولكنه اضطر إلى تعيين اثنين من رجال البوليس لمنع الأهالى من الصعود إلى السفينة ، وظلت السفينة تحت حراسة البوليس حتى نقلت إلى حوض الأسطول الأمريكى فى أواخر الشهر .

ولقد اجتذب طاقم السفينة أنظار الناس ، فعندما نزلوا إلى الشاطىء تمسكوا بملابسهم الوطنية الجذابة ، وقد دفع الفضول بعض الأفراد إلى الاقتراب منهم وتحسس لحاهم للتأكد من أنها طبيعية غير مستعارة ، ولقد عبرت جريدة الهيرالد الصباحية عن هذا الاهتمام بقولها : « كان العرب ينظرون حولهم ، ويبرمون أشنابهم ويستغربون من نظرات التعجب التى تبدو على وجوه الأمريكيين » .

على أن هذه النظرات لم تكن تحمل أى نوع من العداوة أو السخرية المقصودة ، بل كانت فى أغلب الأحيان نوعاً من الإكرام ورغبة فى التعارف بأعضاء طاقم السفينة « سلطانة » ، وكثيراً ما كان

ولقد أثارت الحالة السيئة للسفينة « سلطانة » عند وصولها فكرة رد جميل السيد سعيد الذى قدم من قبل مساعدة فى السفينة بيكوك وكان ذلك عن طريق فكرة ضرورة إصلاح « ساطانة » إصلاحاً شاملا على نفقة حكومة الولايات المتحدة ، وعليه ففى ١٩ مايو طلب بولدنج سكرتير البحرية من رانشو أن يزوده بتقدير التكاليف اللازمة لإجراء الإصلاح الشامل للسفينة العربية سلطانة .

قدم رانشو التقدير المطلوب ولكنه كان يرى أن من الأفضل أن يتم إصلاح السفينة إصلاحاً شاملا فى حوض البحرية الأمريكية ، ولذلك طلب مع تقديره أن يعطى التصريح اللازم ليأخذ السفينة إلى حوض البحرية لهذا الغرض . وفعلا أعطى التصريح وقامت السفينة البخارية ويف بسحب سلطانة إلى حوض البحرية .

وبدخول « سلطانة » إلى حوض البحرية أصبح أحمد وضباطه ضيوفاً على الكابتن رانشو ، بينما أنزل طاقم السفينة على ظهر سفينة عادية راسية فى الميناء ، وفى خلال الشهرين اللذين قضتهما السفينة فى حوض البحرية كان العمال يؤجرون للقيام بالإصلاحات اللازمة فى سلطانة لتواصل رحلة العودة إلى وطنها ، وكان أفراد طاقمها يشاركون فى العمل بمهارة فائقة أثارت الإعجاب الشديد .

لقد أعيد طلاء السفينة بعد أن أصلحت جدرانها وقشرتها وغطاؤها وقد رممت الثقوب وجددت صواريها وقواربها ، وأضيف لها حوض للمياه وبالوعة ومرحاض ، وعملت الترتيبات أيضاً

لإلحاق قارب نجاة بها ، وتكلفت كل هذه الإصلاحات نحو آلاف دولار ، وقد طالب القبطان الذى قاد السفينة إلى زنجبار بمبلغ آخر من المال نظير إصلاح تم أثناء رحلة العودة ، وإن لم يعثر على ما يثبت هذا . فقد ثبت فيما بعد أن تقدير التكاليف الخاص بالإصلاح كانت أقل بكثير مما كانت تحتاجه السفينة ، ومن ثم فان بعض الأشياء قد تركت دون إتمام إصلاحها ، أو أصلحت على وجه غير كامل ، على أن السجلات البحرية تثبت أن كل ما كانت تحتاجه السفينة من جهد ومال لإعادتها لحالة الصلاحية قد بذلت إلى أقصى الحدود .

كانت لإقامة أحمد على الجانب الآخر من النهر فى منطقة ميناء البحرية الأمريكية فرصة نادرة لإبعاده عن أنظار الجمهور والأضواء المسلطة عليه ، فلم يغادر أحمد رفاقه والمكان إلا مرتين ، أولاهما لحضور حفل الاستقبال الذى أقامه حاكم نيويورك وليام ستيوارد فى ٣ يونيه ، والثانية لمقابلة ريتشارد جونسون نائب الرئيس الأمريكى .

وفى مناسبة الحفل الذى أقامه ستيوارد تقابل أحمد مع فيليب هون عمدة نيويورك السابق الذى وجد فى شخصية أحمد ما يستحق الإعجاب ، وعثر على ذلك فى مذكرات هون الشخصية فى حين لم يعثر فى مذكرات أحمد أى شىء يذكر عن هون .

وقرب نهاية يونيه كتبت جريدة الهيرالد « لقد بدت على أحمد علامات الارتياح والرضى ، إذ كان يجلس لمراقبة ما يجرى فى حوض الأسطول وهو يمشط ذقنه ، ويؤدى صلواته صبحاً وظهراً

الأمريكيون يغرون بعض البحارة العرب إلى تناول الشراب معهم في أركان المدينة ، ولما لم يكن أى من أفراد الطاقم قد اعتاد شرب المسكرات فانه قد وقع كثير من حالات السكر الخطيرة ، وعلى سبيل المثال حسب ما ذكرت جريدة نيويورك سيجنال أن أحد البحارة وصل إلى السفينة وهو يترنح ويصيح ، فلما رآه أحد كبار السن من ذوى اللحى البيضاء الطويلة أخذ يوبخه على المنكر الذى ارتكبه ، وحذره من مثل تلك التصرفات .

أما عن أحمد والضابطين الكبيرين فى طاقمه فقد كرموا تكريماً بالغاً ، ففى يوم الأربعاء ١٣ مايو سار معهم أعضاء المجلس العام للمدينة فى جولة لمشاهدة معالم نيويورك وضواحيها ، وزاروا أثناء هذه الجولة معهد العميان ، ومركز رعاية الصم والبكم ، ثم اتجه الجميع إلى منزل وليامز الرئيس السابق للمجلس فى منطقة بلومنجدال التى تسمى حالياً مرتفعات مورننج سايد ، وهناك تناولوا الغداء ، وأعقب الغداء جولة قصيرة فى سكة حديد هارلم ، وكانت تجربة جديدة بالنسبة للسيد أحمد وصاحبيه ، إذ لم يسبق لهما أن ركبا السكة الحديد .

وأخذتهم القوارب بعد ذلك إلى الإصلاحية ، وإلى الحديقة المفتوحة فى جزيرة بلاكويل لمشاهدة المتسكعين والمتعطلين ومدعى الفلسفة ، وأعقب ذلك زيارة إلى بلفيو ، ثم توج الجولة عشاء رسمى فى قاعة مجلس المدينة ، وكان أحمد قد أنهك من طول

التجوال ، فلوحظ أنه لم يتناول إلا قليلاً من الطعام والشراب المقدم له .

وكان بولدنج سكرتير البحرية قد أصدر أوامره المكتوبة فى ٥ مايو إلى رينشو بأن يولى كل الاهتمام لقائد السفينة العمانية التى وصلت مؤخراً وضباطها ، وبناء على ذلك وجه رينشو الدعوة إلى أحمد وضباطه للقيام بزيارة رسمية لمرسى وحوض الأسطول الحربى وبناء على هذه الدعوة قامت أربعة قوارب حربية فى الساعة الحادية عشر من يوم الإثنين ١٨ مايو بعبور النهر الشرقى حاملة الضيوف العرب إلى ميناء الأسطول الأمريكى ، وكان كل قارب يحمل اثنى عشر بحاراً بملابسهم البيضاء والرسمية كحرس شرف ، وكان على ظهر قارب القيادة العميد البحرى يزهو فى ملابسه الرسمية الزرقاء اللون وعلى كتفيه النجوم والأشرطة المشغولة بالخيوط الذهبية ونزل بخطى عسكرية متجهاً إلى قلعة جاردن حيث كانت المقابلة قد رتبت هناك .

نزل رينشو لتحية أحمد وضباطه ولتقديمهم إلى العمدة وإلى أعضاء مجلس مدينة بروكلين الذين كانوا قد أبدوا رغبتهم فى المشاركة .

وكان العرب فى ثيابهم الطويلة الخضراء اللون المقفلة بزراير حتى العنق ، وقد لوحظ أن أحمد وعبد الله لم يكونا يلبسان الحذاء العسكرى وكانا يسيران على أقدامهما ، أما جمعة فقد كان يلبس حذاءاً جلدياً من الأحذية الواردة إلى زنجبار من سالم ، ورغم أن

أحمد كان قد أصيب بتورم وألم فى قدميه بعد وصوله بأيام قليلة إلا أنه كان بادى الحيوية هو وضابطه الأول عبد الله ، بينما كان يبدو على جمعة شىء من الخجل والحياء فى معاملاته .

وبعد تبادل التحية صعد الجمع إلى القوارب الأربعة وتحركت فى صف واحد إلى حوض الميناء الحربى ، وبدخولهم الخليج المفتوح كانت السفينة كارولينا الشمالية فى استقبالهم بالميناء ، فأطلقت ثلاثة عشر مدفعاً ، تحية للزوار وكان رجالها على استعداد لهذا الاستقبال : فلما اقتربت القوارب من جانب السفينة أوقفت مجاديفها ، وصعد الضيوف العرب والمضيفون فى صف واحد إلى السفينة .

ولما كان من الواجب أن يمر أحمد فى أنحاء السفينة فى جولة تفتيشية ، نزل وهو يعرج إلى الأجزاء السفلى من السفينة حيث زار الوحدة العلاجية والمستشفى ، ثم توجه معه قائد السفينة إلى أحد قمراتها للراحة ، وكان فى حقيقة الأمر يحتاج إلى مثل هذه الراحة .

وبعد نحو الساعة ترك الجمع السفينة وسط طلقات أخرى من المدافع للتحية ، واتجهوا إلى رصيف الميناء حيث كان فى استقبالهم العميد البحرى سايلاس سترنجهام مساعد رانشو ، وأطلقت البارجة مدافعها أيضاً أداءاً للتحية ، ثم أخذت ثلاثة طبول تدق بينما سار حرس شرف لتحية ممثل السيد سغيد .

وعقب تقديم طاقم ضباط الميناء البحرى الذين كانوا جميعاً

فى كامل زيهم الرسمى ، توجه الضيوف العرب مع الجمع لمشاهدة المنشآت الحربية ، حيث شاهدوا سفينتين حربيتين كبيرتين تحمل كل منهما ٧٤ مدفعاً ، هما السفينة فرانكلين والسفينة واشنطن ، ثم توجهوا لزيارة مصنع الصوارى ومصنع الحبال ثم أخيراً زاروا قاعة الاجتماعات العامة التى علق على جدرانها صور الرؤساء السابقين.

وبعد انتهاء زيارة الميناء اتجه الجميع إلى المنزل الجميل الذى يقطنه القائد البحرى رانشو ، حيث تقابل أحمد وضباطه مع السيدات ومع الضيوف الآخرين الذين وجهت إليهم الدعوة للحضور وعلى أنغام موسيقى البحرية قدم غداء ملىء بالأطعمة الشهية التى صحبتها وأعقبتها المشروبات المختلفة والحلوى والمثلجات .

وكان من بين من حضر هذه الوليمة جلبرت ديفز حاكم جزيرة كونوى الذى وجه الدعوة للضيوف العرب لزيارة جزيرته . وكان الضابط الأول والثانى كلاهما يتكلمان بلغة انجليزية ضعيفة للغاية مما جعل جميع المحاولات لجرهم فى الحديث لا تلاقى نجاحاً كبيراً .

أما أحمد ذاته فقد حظى باعجاب الجميع لرقته وعذب حديثه فكل من تحدث إليه اعترف بذلك ، ولقى جمعه إعجاباً خاصاً لما يجمعه من سذاجة وذكاء معاً ، وسئل أحمد عن رأيه فى المرأة الأمريكية ومقارنتها بالمرأة العربية من حيث الجاذبية ، فتصدى للدفاع عن المرأة العربية بأدب ورقة .

وحينما حلت صلاة العصر استأذن أحمد ورفاقه ، واتخذوا لهم

جانباً من البهو لأداء الصلاة ، وفى نفس الوقت كانت الترتيبات تجرى لمبيتهم تلك الليلة فى بيت العميد ، ولذلك أمكن أن يستمر الحفل إلى المساء فى بهجة وسرور ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع يحملون معهم الذكريات الجميلة لتلك الليلة الفريدة .

وبعد أيام قلائل وصلت الدعوة إلى أحمد وضباطه من النائب فيسك رئيس سكة حديد لونج أيلاند للسفر بالقطار إلى آخر الخط الحديد الممتد إلى مدينة هكسفيل ، وقد طالب العمدة فورمان وأعضاء هيئة بروكلين ، والعميد رينشو ، وبعض رجال الصحافة وغيرهم ، وبدأت الرحلة صبيحة السبت ٢٣ مايو حيث أخذ الضيوف العرب عربة تجرها الخيول إلى محطة السكة الحديد فى كلينتون بجزيرة لونج أيلاند ، مارين بشوارع الأطلس إلى بروكلين ، وكان بصحبتهم العميد رانشو والمستر جورج باركلاى الوسيط الإنجليزى المصاحب لأحمد .

وصل الجمع إلى محطة السكة الحديد يتوسطهم أحمد فى عباءته المفتوحة حيث كان هناك حشد كبير من السيدات اللاتى أتين لمشاهدة الضيف العربى ، وسير قطار خاص لهذه الرحلة إضافة إلى القطارين العاديين اللذين يسيران بانتظام كل يوم . وكان هذا القطار الإضافى الخاص فى انتظار الضيف وصحبه ، كانت قاطرته قد صنعت فى بالدوين وتسير بأربع عجلات ولها مدخنة ضخمة تكاد تكون فى نفس حجم غلاية القاطرة ، ومن خلف القاطرة خزان للمياه وخشب

الوقود موضوعان على عربة مسطحة ملحقة بالقاطرة ، وخلف ذلك عربات الركاب المطلية باللون الأصفر الفاتح .

بمجرد أن ظهر الضيوف العرب وشاهدوا الجمع الكبير انحنوا تحية لهذا الجمع واتجهوا إلى العربة الأولى ، وما أن صعد الجميع إلى عربات القطار حتى بدأ رحلته التى تبلغ ٢٨ ميلا ليقطعها فى ساعتين حيث سار القطار تدريجياً بضجته وصفاراته المعهودة وظل كذلك إلى أن بلغ سرعته القصوى التى تزيد قليلا عن عشرة أميال فى الساعة .

كان خبر الرحلة قد وصل إلى جميع الأماكن على طول خط السكة الحديدية ، فخرج المزارعون من كل صوب واصطفوا على طول الخط منتظرين مرور القطار بأعناق مشرئبة ليلقوا نظرات على الضيوف العرب ، وعند مدينة جامايكا الصغيرة التى وصلها القطار قبيل الظهر ، كان هناك جمع كبير من الناس ، اخترقه أحمد وصاحباه الضابطان وسط ضجة كبيرة إلى فندق المدينة حيث أقيم حفل استقبال على شرفهم ، ثم ساروا عبر شوارع القرية الصغيرة إلى مزرعة دبيستر أوجدن التى أعجب أحمد كثيراً باتساع رقعتها .

وفى أثناء زيارة المزرعة قدم أحد المزارعين باقة من الزهور إلى الضابط الأول عبد الله ، وكان من قبل قد تلقى باقة أخرى من الزهور من إحدى السيدات عند الهبوط من القطار ، وحينما

طلب منه رانشو على سبيل المزاح أن يلقى بهدية الورد القديمة لم يرض عبد الله عن ذلك ، بل ضمها إلى صدره بدلا من إلقائها ، وقد أعجب الجميع بهذا التصرف .

وبعد أن غادر القطار قرية جامايكا بقليل توقف ثانية ، وهنا قال رانشو لأحمد ورفاقه : « لقد توقفنا لنسقى الحصان » ، فضحك أحمد استغراباً ولكن رانشو أخذ يشرح له حاجة غلاية القاطرة إلى الماء .

وقبيل أن يصل القطار إلى هايكفيل بميل واحد وقف القطار ثانية ودعى أحمد صاحباه بصحبة نائب الحاكم فيسك لتفقد القاطرة وصعدوا إلى كابينة السائق كى يشاهدوا كيف تعمل تلك القاطرة الكبيرة ، ولكنهم لم يحتملوا الحرارة الشديدة فيها فخرجوا إلى جانب الخط الحديدى ليروا عرضاً لسير القطار وسرعته ، وحينئذ سأل رانشو « هل يمكن لحيولكم أن تجرى بهذه السرعة ، فأجابه أحمد بغمزة من عينيه « نعم .. تستطيع » ، وصمت برهة ثم أضاف « لمدة دقيقة أو دقيقتين » .

وعند الوصول إلى هايكفيل كان فى الانتظار جمع حاشد آخر خرجوا لمشاهدة الضيوف العرب والترحيب بهم ، وكانت قد مدت مائدة كبيرة حافلة فى الفندق المركزى الكبير (سنترال جراندأوتيل) أقامها جاكسون لتتسع للجميع ، ولئن كان أحمد وأصحابه قد ساءهم وجود الخمور إلا أنهم استمتعوا بطعام لذيذ ، كما استمتعوا بصحبة

طيبة ، وكان سرورهم واضحاً ، ولكنهم أظهروه فى رزانة وذكاء حسب ما ذكرت صحيفة لونج آيلاند ستار ، وانتهى الحفل بأن شرب الجميع نخب الضيف العربى أحمد ورفاقه، ووعد المضيف أحمد بأن يعطيه نموذجاً للقطار ليأخذه معه إلى بلاده فى رحلةالعودة .

وفى رحلة العودة توقف القطار قليلا عند جامايكا ثانية فى الساعة الخامسة حيث قدم عصير الليمون ، وواصل القطار رحلة العودة إلى بروكلين .

كانت الرحلة ناجحة وكان اليوم بهيجاً بالنسبة لأحمد ورفاقه ، الذين عادوا محملين بباقات الزهور ، ولقد نشرت الهيرالد تعليقاً على زيارة الضيوف العرب معلقة على ما أحدثته من اهتمام شديد فقالت « أثار العرب منذ أن جاءوا إلى هذه البلاد الكثير من الاهتمام والعطف ، وقد شاهدوا كل شيء ، وزاروا أماكن كثيرة غمرتهم بمختلف أنواع الهدايا ، على أن ما رأوه لا يثيرهم لدرجة الدهشة إذ يبدو أن من طبيعتهم ألا يثير دهشتهم شيء ، غير أنهم قد أبدوا الرضاء على ما لاقوه من اهتمام ، وكانوا دائماً على استعداد للتحدث وهم باسمون ، وأعينهم ناظرة إلى كل شيء باهتمام » .

كان العميد البحرى مستر بلينج فى مقابلة فى نورفلك مع سكرتير الدولة بولدنج ، وكان قد تلقى من مستر بلينج خطاباً فيه تعبير عن الأمل فى أن ترد الولايات المتحدة الجميل الذى قدمه السيد سعيد عن طريق تكريم مبعوثه وضباطه على ظهر السفينة سلطانة .

وعصراً ومساءاً وليلا ، ويرتاح وقت الظهيرة كل يوم ، وفى أثناء إقامته هناك اتخذ مجلسه أمام الرسام المشهور مونى ، ليرسم له الصورة المشهورة التى اشتراها فيما بعد مجلس مدينة نيويورك بمبلغ ٥٠٠ دولار وذلك بعد مغادرة السفينة سلطانة نيويورك بأيام قليلة .

ولقد كانت هناك احتمالات عديدة عن قيام أحمد برحلات خارج نيويورك ، ففى ١٧ مايو اجتمع مجلس مساعدى الحكام وأخذت الأصوات على موضوع تعيين بعثة رسمية من ثلاثة أشخاص لتقوم بتقديم أحمد رسمياً إلى حكومة الولايات المتحدة ، وفى أواخر مايو نشرت الهيرالد أنه من المنتظر أن يقوم أحمد بزيارة الرئيس الأمريكى فى واشنطن ، ولكن لم يحدث شىء من هذا ، فلم يكن أحمد يحمل أى خطابات تفويض رسمية ، ولم يطلب أى مقابلة شخصية مع الرئيس الأمريكى ، بل إن مهمته كانت مهمة عمل تجارية مع ميناء ومدينة نيويورك .

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد أعضاء مجلس مدينة نيويورك عدم وجود أى ضرورة لاقتراح مثل هذه الزيارة ، خاصة وأن فان بورين كان مشغولا فى ذلك الوقت بحملته الانتخابية لإعادة إنتخابه للرئاسة ، وفضلا عن ذلك فان المناقشات العديدة التى جرت فى الكونجرس حول ما أشيع عن الهدايا الملكية كانت قد أغضبت الإدارة وجعلتها فى موقف يعارض ترتيب أى نوع من الزيارات .

وألغيت أيضاً الزيارة التى كان مزمعاً القيام بها إلى مدينة سالم

فى ماساشوستس لأن كل المحاولات لتنفيذها قد فشلت ، والحقيقة أنه لم يكن يعرف على وجه الدقة عما إذا كان القنصل ووترز الذى كان يقضى أجازته فى نيويورك فى ذلك الوقت كان على صلة بالمبعوث العربى أم لا ، ولما لم تكن هنا أية أخبار عن أى اتصالات من هذا النوع ، فان ما أمكن تخمينه هو أن ووترز كان فى ذلك الوقت فى شغل شاغل لتغيير شركائه فى العمل وإيجاد شركاء جدد ، مما جعل أحمد ينظر إليه بشىء من المرارة .

وهنا أيضاً — فى مثل هذه الظروف — يصبح من غير اللائق على أحمد أن يقوم هو بنفسه بزيارة ووترز ، وبخاصة إذا أضفنا الصلات الشخصية السابقة إلى الأمر . ولعل ووترز قد أغضبه أن يستعمل أحمد إحدى المؤسسات فى نيويورك — خلاف المؤسسة التى يعمل معها ووترز — لتولى أعمال السيد سعيد هناك بينما كان المتوقع لما سبق أن ذكرنا أن يتولاها القنصل بنفسه كما كانت النية مبيتة من قبل .

ومهما كانت الحال فإن الصداقة الشخصية بين الرجلين لم تنقطع بسبب هذا الموقف فى نيويورك بل أنها استمرت قائمة وتوطدت حينما عاد الرجلان إلى زنجبار .

ومن الأمور الهامة التى يجب ذكرها ، أن الترف قد استنزف أموالا طائلة ، وأن كشف حساب أحمد يبين أنه دفع بعض النقود مقدماً لبعض الضباط لتخصم من مرتباتهم البسيطة ، على أنه مما يدعو

إلى الارتياح هو أن أحد المقربين إلى أحمد وهو ضابطه الثانى محمد جمعه قد أظهر أثناء زياراته العديدة اهتماماً كبيراً بتطوير نفسه ، الأمر الذى لاحظته زوجة العميد البحرى الذكية ، فأمدته بالكتب وكانت تقضى معه أوقاتاً طويلة تدرس له ، وقد أظهر تقدماً سريعاً حتى أنه فى الوقت الذى غادرت فيه « سلطانة » ميناء نيويورك كان جمعه يقرأ الإنجليزية بطلاقة ويكتبها بخط واضح .

(٥)

حسابات الرحلة

على الرغم من انشغال أحمد بتلبية الدعوات وحضور الاحتفالات التى تقام لتكريمه فى أمريكا والتى وجد نفسه غير قادر على احتمالها ، فقد كان دائم التفكير فى المهمة التجارية التى أوفده فيها السيد سعيد ، ولحسن الحظ بقيت كشوف الحساب الخاصة بالرحلة حيث وجد الأصل لدى الشيخ سليمان عبد الله شيبان فى زنجبار ، وقد أخذت صورة منها محفوظة فى متحف بيبودى فى سالم بماساشوستس .

ومهما يكن الأمر كان هذه الكشوف تعتبر وثيقة اقتصادية لها أهميتها ، إذ أنها تلقى الضوء على بعض الممارسات التجارية فى ذلك العصر ، وتعطى صورة واضحة عن الأسعار والأذواق التى كانت تسود تجارة زنجبار منذ أكثر من قرن من الزمان ، وهى تعتبر أيضاً وثيقة إنسانية هامة رغم ما تمتلىء به من أخطاء حسابية ومبالغات.

ويعتقد القبطان البحرى الأمريكى الذى أبحر على ظهر السفينة « سلطانة » فى رحلة العودة إلى زنجبار أن الكثير من المصاريف الشخصية الخاصة بأحمد وضباطه قد أدرجت فى كشوف الحساب كجزء من مصاريف نقل البضائع وتخزينها وتشوينها على أرصفة الميناء ، وغير ذلك من مصاريف غير مباشرة ، ولئن كانت هذه النفقات الشخصية مدرجة إلا أن الرقم المسجل تحت بند نفقات

الشحن والتفريغ لا يكشف شيئاً من ذلك ، إذ تبلغ كما تظهر فى الكشوف ٧٠,٣٧ دولاراً (سبعين دولاراً وسبعة وثلاثين سنتاً) وهو مبلغ ضئيل لا يحتمل أن يكون فيه أى مبالغة أو أن تكون قد أدرجت ضمنه أى نفقات أخرى .

هذا ، ولم تدرج أى نفقات نظير التخزين ، وإنما أدرج مبلغان كبيران تحت بند نفقات إقامة ، الأول بمبلغ ٢٧١,٣٠ (مائتان وإحدى وسبعون دولاراً وثلاثون سنتاً) ، والثانى بمبلغ ٣٠٠ دولاراً (ثلاثمائة دولار) ، ويمثل هذا الرقمان نفقات أحمد والضباط فى الفترة التى لم يكونوا فيها ضيوفاً على البحرية الأمريكية ، وإن كانا يقيمان أثناءها على ظهر السفينة ، وقد استلفت هذان الرقمان نظر السيد سعيد وأخذ يدقق فيهما أكثر ، وكان من الصعب أن يتصور أحد أن أى نوع من الاختلال فى الحسابات كبيراً كان أم صغيراً ، قد يفوت على السيد سعيد ونظرته الثاقبة ولكن الاختلافات فى الكشوف كانت طفيفة ، والتعديلات فى كشوف الحساب كانت تتمشى مع ما كان يجرى فى ذلك الوقت ، ومن ثم كانت متوقعة ومقبولة لدى السيد سعيد .

وعلى أى حال فان الذين كانوا يعملون مع السيد سعيـــد كسكرتارين لم يكونوا يحصون على مرتبات كبيرة ، ومثال ذلك أحمد الذى لم يستطع خلال خدمته الطويلة أن يجمع ثروة كبيرة ، فقدكان يملك عند عودته من رحلته إلى أمريكا ما يعادل ٢٤٢ دولارا

فقط ، وقد حدث أنه بعد ذلك بأعوام قليلة وقع فى أزمة مالية إذ كان يحتاج إلى مبلغ يعادل ٧٠ دولاراً ، هى عجز ما يملكه عن ثمن مزرعة أراد شراءها لأسرته ، ولم يستطع تدبير مبلغ العجز بسهولة .

أما عن البضائع التى حملتها « سلطانة » من مسقط وهى فى طريقها إلى نيويورك فقد كانت ١٣٠٠ جوالا من البلح و ٢١ بالة من السجاد الإيرانى و ١٠٠ بالة من بن مخا ، وأضيف إلى ذلك فى ميناء زنجبار ١٠٨ قطعة سن فيل و ٨١ حقيبة من الصمغ العربى المنظف تنظيفاً جزئياً و ١٣٥ كيساً من القرنفل، و ١٠٠٠ قطعة جلد مجففة غير مدبوغة من إنتاج جزيرة بمبا ، ولم يكن من الأنواع الجيدة المعروفة .

وقد شحنت هذه البضائع لتصديرها للولايات المتحدة لحساب السيد سعيد ، على أن يشترى بثمنها بضائع أمريكية مصنعة تناسب احتياجات سوق زنجبار ومسقط أو مما يحتاجه الحاكم نفسه وما يحتاجه نجله الأمير السيد خالد لاستعماله الشخصى . وكانت معظم البضائع التى حملتها « سلطانة » مألوفة فى السوق الأمريكية ومماثلة لما كانت تحمله السفن الأمريكية من زنجبار فيما عدا السجاد العجمى الذى وصل لأول مرة .

ومما يذكر أن القرنفل الذى حملته السفينة قد جاء من مزارع السيد سعيد الخاصة وكان قد أدخل زراعة هذا المحصول فى جزيرتى

زنجبار و بمبا ، وبالإضافة إلى هذه البضاعة الخاصة بالسلطان فان السيد خالد قد صرح بحمل قليل من البضائع لحساب بعض التجار المبرزين فى مسقط وزنجبار مثل سعيد بن خلفان وجيرام بن سيوجى .

واستجابة لما سبق أن اقترحه بوتسفورد فان هذا البضائع كانت ستسلم إلى مؤسسة سكوفيل وبريتون فى نيويورك ، التى كانت قد أخذت على عاتقها تولى أمور الصفقة ، ولكن عند الوصول إلى نيويورك واجه أحمد ما لم يكن يتوقعه من المشاكل فى تسويق هذه البضاعة ، ذلك أن مؤسسة سكوفيل وبريتون كانت قد اشهرت إفلاسها وأصبحت فى أيدى أصحاب الديون ، وكان لابد أن يجد وسيطاً آخر بأسرع ما يكون .

وبموافقة لويد بريتون الشريك الوحيد فى تلك المؤسسة التى أفلست اتجه أحمد إلى مؤسسة باركلاى ولفنجستون لتتولى العملية ، ورغم افتقار مؤسسة باركلاى ولفنجستون إلى الخبرة فى تجارة زنجبار إلا أنها كانت تتمتع باحترام كبير بين بيوت الأعمال فى نيويورك ، كما أنها كانت تتولى إلى جانب الأعمال الأخرى ، وكالة التجارة لمؤسسة لويد اللندنية .

ولقد أمكن التوصل إلى اتفاقية خاصة بالتوزيع على أن تقوم المؤسسة ببيع حمولة « سلطانة » من البضائع نظير عمولة تبلغ ٥٪ وأن تقوم بعملية المشتروات نظير عمولة ٢,٥ فى المائة ، وبناء عليه فقد نقلت حمولة السلطانة إلى مقر المؤسسة فى ٢٦ شارع برودواى

ثم قامت بالإعلان عنها فى الصحف للمعاينة قبل الشراء يوم ٨ مايو ، وأخذ جورج باركلى أحد كبار المساهمين فى المؤسسة العملية على عاتقه .

وكانت حركة تصريف البضائع مرضية ، إذ أن معظمها كان قد سلم للمشترين قبيل نهاية يونيه ، وقد بيع القرنفل بسعر يتراوح بين ١٩ و ٢٠ سنتاً للرطل ، أما الصمغ الذى كان يستعمل فى صناعة الطلاء والورنيش ، فقد بيع بسعر يتراوح بين ٢٣ و ٢٦ سنتاً للرطل الواحد من النوع المنظف و ١٥ سنتاً للرطل من النوع الخام ، وبيع التمر بسعر يتراوح بين ٣ و ٤,٥ سنتاً للرطل ، واشترى تجـــار فيلادليفيا وبوسطن كميات من هذا التمر لإعادة تعبئتها ونقلها إلى الأسواق الأجنبية .

وبيع العاج بمبلغ ٧٥ دولاراً للسن الواحدة الكاملة ، أما البن الذى وزعت بعض أكياسه كهدايا لبعض الأشخاص ، والسجاد العجمى والجلود فقد كانت جميعاً بضاعة شبه راكدة أو غير مربحة إلى حد ما ، فقد بقيت كميات من هذه السلع الثلاث لم تكن قد سوقت قبيل رحيل « سلطانة » بوقت قصير وكان ذلك فى أغسطس فخفضت أسعارها نسبيا إذ بيعت القطعة من السجاد العجمى بما يتراوح بين ٥,٥ و ٧ دولارات بينما بيعت القطعة من الجلد بمبلغ ١,٣ دولاراً ، أما البن فقد بيع أول الأمر بسعر ٢٠ سنتاً للرطل ، ثم بيعت الكمية المتبقية منه بسعر ١٤,٥ سنتاً للرطل ، وبذلك بلغت مبيعات بضائع سلطانة ٢٦٩٥٧ دولاراً .

وقامت مؤسسة لفنجستون وباركلاى بعد ذلك بشراء البضائع التى حملتها « سلطانة » فى رحلة العودة ، وتكونت هذه البضائع من ثلاثة مجموعات :

الأولى مجموعة من البضائع للبيع فى سوق زنجبار ، وهى من البضائع التى كانت تخضع للاتفاقية بين السيد سعيد وجيرام سيوجى للقيام بتسويقها ، فكان يجب أن تأتى من خلال هذه المؤسسة المشار إليها ، نظراً لأن نسبة من أرباحها كانت تدخل خزانة السيد سعيد الشخصية ، وتتضمن هذه المجموعة من بين أصنافها : ١٢٥ بالة من القماش الرمادى اللون الذى يعرف فى زنجبار باسم « مريكانى » وقد اشتريت بسعر يتراوح بين ٦ و ٨,٥ سنتاً للياردة المربعة . و٢٤ مقطعاً من القماش القرمزى اللون بسعر ٨٧,٥ سنتاً للياردة المربعة للنوع العادى ، و١,٢ دولاراً للياردة المربعة من النوع الممتاز و١٣ كيساً من الخرز الأحمر والأبيض والأزرق بسعر دولار واحد للرطل ، و٢٠ دستة من لوحات الطباعة بسعر يتراوح بين ١,٠٥ دولاراً ، و٤,٥ دولاراً للدستة و٣٠٠ بندقية من النوع التقليدى بسعر ٣,٤٣ دولاراً ، و٢٥ كيساً من البارود بسعر ٢,٧٥ دولاراً للكيس ، وكمية من الأطباق الخزفية يتراوح سعر الدستة منها بين ٢٦,٥ سنتاً ودولارين ، وبلغت جملة هذه المشتروات ١١١٧٧,٥٦ دولاراً .

أما المجموعة الثانية من البضائع فهى أصناف تم اختيارهــا

خصيصاً للسيد سعيد ونجله السيد خالد لاستعمالهما الشخصى ، فللسيد سعيد اشتريت أربعة بنادق مزخرفة تكلفت الواحدة نحو ٧٠ دولاراً ، وكمية كبيرة من الشمع وعدة صناديق من خيوط الذهب ، و٢٠ رزمة ورق للكتابة ، وخمسين صندوقاً من السكر المكرر ، وصندوقين من آنية الزهور ، وصندوق من زجاجات العطور ، وعشر علب موسيقية ، وبعض الصابون الأحمر ، وكمية مختارة من الزجاج الخاص وأطباق الخزف والمرايا ، هذا بالإضافة إلى عدد من صناديق الحلوى واللوز وشراب الأناناس والبرتقال ، وكيس من الفواكه المسكرة ، وقد بلغت قيمة هذه المشتروات الخاصة بالسيد سعيد ٣٦٨١,٢٥ دولاراً .

أما المشتروات الخاصة بالسيد خالد فقد كانت أكثر تواضعاً واشتملت على بعض المزايا والشمعدانات والزجاج واللمبات وبلغت قيمتها فقط ٥٠٥,٨ دولاراً .

وكانت المجموعة الثالثة من المشتروات تمثل بعض المرايا التى اشتريت لسعيد بن خلفان ولبعض تجار زنجبار الآخرين السابق ذكرهم ، ولما كانت قيمة البضائع الخاصة بهؤلاء التجار مما حملته سلطانة غير كافية لدفع أثمان هذه السلع المشتراه لهم نقداً ، إقترض أحمد ٤٧٣,٢٧ دولاراً لتغطية الفرق .

وبلغ الفرق بين المبيعات والمشتريات من البضائع والهدايا والسلع الخاصة ٤٠٠٠ دولاراً هي صافى المكسب من المرحلة الأولى للرحلة

أخذها أحمد معه على شكل نقود فضية وخاصة من الدولارات الإسبانية التى كانت تعرف فى ذلك الوقت بالريالات المغربية ، وكانت هى والقطع ذات الخمسة فرنكات هى النقود الفضية التى تمثل غطاء النقود الأمريكية ، وقد سدد عنها مبلغ ١١٦ دولاراً كرسوم استيداال ، واشتريت خزانة خاصة لحملها فيها .

أما عن مصروفات الرحلة التى أنفقت بموجب إيصالات ، فقد كانت عالية نسبياً ، وبلغت جملتها ٢٢٣٨,٢٩ دولاراً تشمل مصاريف الحمالين والوزن والتعبئة وغيرها من نفقات تفريغ البضائع التى أتت بها السفينة ، وتشتمل أيضاً هذه المصروفات على العمولة التى حصلتها عليها مؤسسة باركلى ولفنجستون ، وقد زعم سكوفيل فيما بعد أن مؤسسة باركلى ولفنجستون المنافسة قد ربحت ما بين خمسة أو ستة آلاف دولار من عملية بيع بضائع السلطانة .

وبالطبع فإن هذا الادعاء ما هو إلا مجرد زعم مرفوض طبقاً لما ورد فى كشوف حساب أحمد التى تظهر فيها العمولة التى سددت للمؤسسة نحو ١١٧٥ دولاراً ، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك قائمة طويلة تشتمل على مصروفات السفينة ، وأجر الحراس ، والدمغات المقدمة على حساب مرتبات الطاقم ، والمبالغ الباهظة التى كان يدفعها سليمان كنفقات للطعام وغيرها مما كان يلزم دفعه .

وقبيل مغادرة السفينة السلطانة بوقت قليل استطاع باركلى ، باعتباره وكيلاً لمؤسسة لويلز اللندنية أن يقنع أحمد بشراء بوليصة

تأمين بحرية على السفينة لرحلة عودتها ، وهو عمل لم يكن السيد سعيد قد ألفه من قبل ، وبذلك بلغت جملة المصروفات المختلفة للسفينة ٣٠٦٢،٧٦ دولاراً . ومما يثير السخرية هو أن بعض هذه المصروفات كانت من نوع الخدمات التى أصر التجار الأمريكيون على استبعادها وفقاً للمعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وعمان عام ١٨٣٣ مثل رسوم الإرشاد داخل الميناء ، ورسوم الوزن ، وغيرها مما لم تعف منه السفينة السلطانة فى ميناء نيويورك .

ولعل إعطاء ملخص لكشف الحساب الذى أعده أحمد يكون وسيلة لتوضيح الصورة ، وخاصة فيما يتعلق بالعناصر المختلفة لتكاليف المغامرة .

وعلى أى الأحوال يبدو أن أحمد وكذلك السيد سعيد كانا راضين عما تم ، وقد استمر السيد سعيد على علاقته التجارية مع تلك المؤسسة — مؤسسة باركلى ولفنجستون — وبخاصة بالنسبة لشراء البنادق وقطع غيارها .

(٦)

مسألة الهدايا

لم تكن المهمة التجارية هى الشيء الوحيد الذى كان يضطلع به أحمد فى رحلته على السلطانة إلى نيويورك ، بل كانت هناك مهام أخرى استكمالا لمهمته التجارية ، فقد كان مكلفاً بالقيام بمهمة المبعوث الرسمى أثناء تواجده بالولايات المتحدة ، وتتضمن هذه المهمة الرسمية تسليم رسالتين من السيد سعيد إلى الرئيس الأمريكى فان بورين مؤرختين ٢٥ ديسمبر ١٨٣٩ ، وقد تولى سعيد بن خلفان ترجمة وكتابة الخطابين باللغة الإنجليزية ، ويعبر الخطاب الأول عن مشاعر الصداقة والمودة التى يحملها السيد سعيد للرئيس والشعب الأمريكى . والثانى هو الرسالة التى صحبت الهدايا المرسلة إلى الرئيس ولو أن السيد سعيد تذكر أن روبرتس سبق أن رفض حمل الهدايا للرئيس الأمريكى لما فكر فى إرسالها :

واشتملت هذه الهدايا على فرسين من فرسان السباق النجدية ، وعقد من اللؤلؤ ، وحبتين كبيرتين من اللؤلؤ ، الواحدة منها فى حجم وشكل الكمثرى الكبيرة ، وحوالى ١٢٠ قطعة من الأحجار الكريمة الملونة اللامعة يبلغ وزنها ١٨,٢٥ قيراطاً ، وسبيكة من الذهب الخالص ، وسجادة حريرية فارسية الصنع ، وزجاجة من

عطر الورد ، وبعض ماء الورد ، وست عباءات كشميرية مطرزة وسيف مرصع بالذهب . . .

وبناء على طلب أحمد قامت مؤسسة باركلى ولفنجسون نيابة عن أحمد بتسليم خطابى السيد سعيد إلى الرئيس فى ٢ مايو ، وانتظرت تلقى التعليمات الخاصة بتسليم الهدايا ، وبعد ثلاثة أيام كتبت المؤسسة خطاباً ثانياً إلى الرئيس تذكر فيه أن أحمد سوف يضطر إلى العودة بالهدايا إذا لم يقبل الرئيس تسلمها بنفسه .

وفى تلك الأثناء كان الفرسان النجديان قد أخذا إلى حظائر تترسال فى برودواى حيث لقيا إعجاباً شديداً من كل من شاهدهما هناك .

وفى ٥ مايو أرسل جيسى هوايت رجل الجمارك المسئول عن ميناء نيويورك وكان معروفاً بأنه نفعى وانتهازى إلى الرئيس بخبرة فيه بوصول السفينة السلطانة والهدايا القيمة التى أرسلها سلطان عمان بشىء من النفاق ، ويهنئه فيه على ذلك ، ووصف فى خطابه الحصانين ، وتساءل عن كيفية التصرف فيهما ، وقال غامزاً أن شميث تومسون قد يحتاج إليهما فى مزرعته ، ثم عاود الغمز قائلا أعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يسمح بذلك ، وكان على حق إذ أن الهدايا فى عرف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تعطى لأى من الإداريين .

ولقد أحال البيت الأبيض هذه المراسلات إلى وزارة الدولة ،

وفى ٧ مايو كتب جون فورسيت إلى باركلى ولفنجستون مشيراً إلى أن الرئيس ممنوع من قبول الهدايا الشخصية ، ولذا فانه يطلب من أحمد أن يفهم الأمر ويقدر الموقف ويسمح بالتصرف فى الهدايا بطريقة أخرى تتفق مع رغبة سيده السلطان ، وأضاف أن الرئيس يود معرفة موعد مغادرة السلطانة حتى يكتب بنفسه رداً إلى صديقه السيد سعيد .

وبعد ثلاثة أيام أى فى ٨ مايو سلم سكرتير الدولة فورسيت خطاب الرئيس الأمريكى إلى السيد سعيد ، وجاء فى الخطاب قوله « لقد كان من دواعى السرور والرضى أن يقوم بين عمان والولايات المتحدة ما نوده دائماً من صلات مفيدة فى مجالات متعددة » . وأضاف الرئيس الأمريكى فى خطابه : « إن وصول سفينة تحمل علم سلطانكم ودخولها ميناء نيويورك لشاهد على الرغبة فى إقامة هذه العلاقات التى نود أن تستمر بين بلدينا وتدوم .. » . وجاء فى الخطاب أيضاً إشارة إلى أن الرئيس باعتباره موظفاً مدنياً فى الدولة لا يستطيع أن يقبل الهدايا القيمة وأعرب عن تمنياته الطيبة بالصحة والسعادة لجلالة السلطان ، والقوة والمتعة لحكومة عمان والسعادة والاستقرار لشعبها .

وعلى الرغم من اللهجة الشديدة التى عبر بها أحمد عن موقفه بالنسبة للهدايا فقد أدرك مؤخراً أنه لا يمكن عملياً أن يعود بالهدايا إلى زنجبار وبخاصة الخيول ، ولذا فقد كتب ثانية إلى سكرتير الدولة

فورسيت فى ١٤ مايو عن طريق باركلى ولفنجستون يذكر أنه سوف يقدم خطاب الرئيس إلى السيد سعيد عند العودة ، وأوضح فى خطابه أن السيد سعيد لم يكن على علم بالصعاب المتعلقة بقبول الهدايا ، وأضاف فى خطابه أنه يشعر بثقة كاملة فى أنه يكون قد نفذ أوامر الإمام إذا ما اعتبرت الهدايا مقدمة إلى حكومة الولايات المتحدة ، وطلب إلى الرئيس أن يتفضل باتخاذ اللازم نحو قبولها على هذا النحو .

وبارسال هذا الخطاب أصبح أحمد فى الجانب السليم فقد قدم النصيحة وأصبح يأمل أن يسمح له بتسليم الهدايا لممثل الحكومة الذى سيعين لذلك .

وهنا وضع الرئيس الأمريكي فى موقف حرج بالنسبة لموضوع الهدايا وكيف يمكن التصرف فيها ، خاصة وأن عنصراً آخر هاماً قد أضيف إلى المشكلة ، وهو أن ملك مراكش كان قد أرسل أسدين هدية للرئيس الأمريكى ، وكان من المتوقع وصول السفينة التى تحمل تلك الهدية إلى ميناء نيويورك يوم ٢١ مايو .

هنا وجد الرئيس الحل فى إحالة كل المراسلات إلى الكونجرس مقترحاً أن يصدر تشريع خاص بذلك ينص على الطريقة التى يمكن بها للموظف التنفيذى أو عضو الهيئة التنفيذية أن يواجه بها مثل هذه الأمور فى المستقبل فى حالة إذا ما قدمت إحدى الدول الأجنبية هدايا للحكومة أو لأحد من أعضاء هيئاتها التشريعية أو التنفيذية ،

أو إلى ممثلي الحكومة في الخارج دون أن يؤدى الرفض إلى الوقوع في الحرج السياسي .

ولقد كانت هنالك سوابق مماثلة ، ولكن بالنسبة لهدايا مقدمة لموظفين تنفيذيين أقل درجة ، ولو أن الكونجرس تردد كثيراً في إصدار تشريعات تتعلق بهذا الأمر إلا أنه قد قرر في سابقة مماثلة عام ١٨٣٥ أن تباع الهدايا بالمزاد العلني ، وكانت تلك الهدايا هي عدد من الخيول كان قد قدمها ملك مراكش للقنصل الأمريكي في طنجة ، وكانت الخطوة التالية هي إيداع ثمنها في الخزانة ، إلا أن الموقف بالنسبة للهدايا المقدمة للرئيس ، ظل دون أن يستقر عليه رأى .

قدم جونسون نائب الرئيس الرسالة إلى مجلس الشيوخ في ٢٥ مايو ١٨٤٠ ، وحول مجلس الشيوخ الموضوع فوراً إلى لجنة العلاقات الخارجية لبحثه ، وبعد أيام قلائل أعلن السناتور جيمس بيوكانان ممثل بنسلفانيا ورئيس لجنة العلاقات الخارجية حلا بسيطاً للغاية ، يخول للرئيس قبول الهدايا على أن يسلمها أو يسلم ثمنها للخزانة بعد بيعها ، وطلب مجلس الشيوخ في أول يولية بعد إقرار التوصية أن تعرض على مجلس النواب لإقرارها .

على أن مرور القرار في مجلس النواب كان أمراً مثيراً للعواصف من المعارضة والنقاش الطويل ، وكان المجلس قد أحال المكاتبات جميعاً إلى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب لدراستها ووضعت

هذه اللجنة أمامها قرار مجلس الشيوخ بعد بدء عملها بأيام . ثم خرجت فى ٩ يونية باقتراح معدل ، ألغيت منه عبارة إيداع القيمة النقدية فى الخزانة واستبدلت بذلك اقتراح لتوزيع الهدايا على النحو التالى : فالسيف يودع فى وزارة الدولة ، أما حصيلة بيع بقية الهدايا فتقسم بين المؤسستين الخيريتين اللتين كانتا تعملان فى نيويورك فى ذلك الوقت .

جاءت هذه المقترحات كمحاولة لتجنب الدخول فى خلاف دستورى يتمثل فى موضوع إيداع أموال من غير حصيلة الضرائب فى خزينة الدولة .

وأصبح من المتوقع بهذا أن تتم الموافقة على هذه التوصيات المعدلة

ودخل فى الموضوع خصم جديد معارض لم يكن فى الحسبان هو « جون آدمز » الرئيس السابق الذى كان يمثل دائرة ماساشوستس وكان يبلغ من السن ٤٧ عاماً ويعانى من كسر فى عظام الكتف ، وقف بمجرد أن بدأ رئيس المجلس طرح الموضوع للمناقشة وقاطعه طالباً الكلمة ، وقال : إنه لم يسبق للكونجرس أن وافق على السماح بقبول مثل هذه الهدايا من الدول أو القوى الأجنبية ، ثم ذكر أن توماس بيكلى قد منع من قبول الهدايا عام ١٧٩٨ حينما كان يقوم بالتفاوض مع أسبانيا ، وطالب بعدم الموافقة على القرار ، وقد أدى ذلك إلى إعادة الموضوع إلى لجنة العلاقات الخارجية .

ومضى شهر كامل ، قام مؤيدو القرار أثناءه برسم استراتيجيتهم

فطلب آدمز أن يعيد النظر فى اعتراضه ، ورغم أنه كان من أشد المعارضين لحكم فان يورين ، فان اعتراضاته لم تكن من قبيل المعارضة ولكن كان همه فى هذه الواقعة يتجه كلية إلى اعتقاده فى أن مرور مثل هذا القرار بقبول الهدايا قد يكون سابقة سيئة يستمر على أساسها قبول الهدايا . وفى محاولة للتمشى مع هذا الرأى اقترحت اللجنة فى ٧ يوليه صياغة جديدة بحيث لا تشتمل على عبارة قبول الهدايا ولكن عبارة « تسليم الهدايا » ، وظل آدمز لمدة ثلاثة أيام من ٧ يوليه إلى ٩ يوليه متمسكاً بمعارضته حتى كاد الاشتباك ينشب بين الأعضاء بسبب هدايا السيد سعيد .

ولقد تصدى مؤيدو مشروع القرار بقيادة عضو الكونجرس عن دائرة كارولينا الجنوبية فرنسيس بيكنز ، الذى ذكر أن آدمز قد بالغ بصورة غير مقبولة فى مفهوم الهدايا ، وقال : « إننا جميعاً متفقون على منع أى عضو فى الهيئة التنفيذية أو الحكومة من قبول هدايا من الدول الأجنبية ، غير أن الهدايا فى مثل هذه الحالة التى بين أيدينا لم يقصد بها إلا إظهار الاحترام والتعبير عن الصداقة وحسن النية تجاه حكومة الولايات المتحدة وشعبها ، وإن كرم السيد سعيد وشهامته التى عرفناها فى موقفه من الحادث الأليم الذى حدث للسفينة بيكوك لا يمكن أن يقابل بتصرف ينم عن الجحود برفض هداياه ، وذكر مؤيدو القرار أيضاً أن هنالك سابقة الكونجرس الأمريكى فى محاولة لمعالجة موقف مماثل ، وهى التصريح للرئيس بقبول ميدالية من رئيس جمهورية كولومبيا .

رفض المعارضون بقيادة آدمز هذا الرأى الأخير بحجة أن المجلس لم يسبق له أن سمح لأى من أعضاء الهيئة التنفيذية بقبول هدايا من دول أجنبية وذكر أنه فى الفترة من عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٣٤ كان هناك رفض بات لقبول مثل هذه الهدايا ، وأن سابقة ميدالية كولومبيا لا يمكن اعتبارها سابقة لمثل هذا الموضوع ، وأن السماح بقبول الهدايا سوف يوجد سابقة غير مرغوب فيها ، كما أن بيع الهدايا فى نفس الوقت دون إعلان قبولها يعد تصرفاً غير أخلاقى ، ومثل هذا التصرف قد يؤدى إلى إثارة غضب السيد سعيد بدرجة أكبر .

وفى الثامن من يوليه نجح مؤيدو آدمز من خلال مناورة برلمانية فى إسقاط الاقتراح ، وقد تهلل آدمز ورفاقه ، وأعلن آدمز أن مجلس النواب سوف يغير اتجاهه قريباً ، وكان توقعه صحيحاً ، وذلك هو ما حدث فى مجلس الشيوخ حتى قبل إبلاغه باسقاط الاقتراح ، إذ استطاع ناثان كايفورد عضو الكونجرس عن دائرة ماين أن يسترد القرار من كاتب المجلس ، لكى يعيد إثارته فى الاجتماعات ، ولما لم يستطع كاتب المجلس أن يرسل الموضوع مستكملا إلى مجلس الشيوخ من فوره طبقاً للوائح المعمول بها فى البرلمان الأمريكى فان التصرف هو أن يوضع الكاتب تحت المراقبة .

وباستخدام كل وسائل المناورات البرلمانية لتهدئة الموقف

والمناقشات ، قبل آدمز ما لم يكن يقبله من قبل ، وهو إصدار القرار بعد إعادة تعديله بإيداع حصيلة بيع الهدايا فى خزانة الدولة ، ثم فى نهاية الأمر عدل بحيث لا يمس أحداً بصياغته على أنه قرار مشترك من المجلسين من أجل زيادة إيرادات الخزانة عن طريق بيع الهدايا التى قدمت للولايات المتحدة من إمام زنجبار وملك مراكش ، وهكذا هزم أصحاب الرأى بقبول الهدايا ، وقبل هذا التعديل الذى أدخله مجلس الشيوخ ووقعه الرئيس فى ٢٠ يوليه .

ويبدو أن أحمد لم يتفهم التعقيدات التى صحبت مناقشة موضوع الهدايا التى أحضرها ، إلا أنها على كل الأحوال لم تؤخذ على أنها نوع من عدم الاحترام أو سوء التقدير للسيد سعيد ، بل على عكس ذلك فإنه فى خلال المناقشات على سبيل المثال اقترح هوارس إفريت عضو الكونجرس عن دائرة فرمونت أن تؤخذ على أنها تعويض عن إصلاح السفينة « السلطانة » على نفقة الولايات المتحدة مع تقديم هدايا مقابلة للسيد سعيد الذى وصفه فى كلمته « بالأمير ذى العقل الراجح » .

ومثال آخر ما أعلنه ألكسندر دانكان عضو الكونجرس عن دائرة أوهايو فى اجتماع ٢١ يوليه من أنه سوف يقدم فى الجلسة التالية اقتراحاً بأن يخول الرئيس الأمريكى سلطة إهداء حاكم مسقط مركباً شراعياً حربياً ذا شراع واحد ، ولئن لم يوجد ما يشير إلى تقديم مثل هذا الاقتراح ، إلا أن الفكرة فى حد ذاتها كانت تنم عن

الاحترام البالغ ، والتقدير الذى اكتسبه السيد سعيد فى أوساط الأمريكيين .

وبناء على القرار أصبح من الممكن أن تتسلم حكومة الولايات المتحدة الهدايا ، وأخذت إلى واشنطن حيث أودعت معظمها فى مبنى وزارة الدولة ، ثم نقلت إلى مكتب براءات الاختراع القديم حيث عملت الترتيبات اللازمة لبيعها بالمزاد العلنى فى صالة ذلك المكتب فى يوم ٤ أغسطس ١٨٤٠ .

وكانت الخيول تنقل كل يوم إلى أرض السباق لعرضها على الراغبين فى شرائها لتحسين نسل الخيول الأمريكية ، وتم البيع بمعرفة خبير المزادات المشهور إدوارد دواير فى اليوم المحدد ، وقد بيع الحصان الرمادى الفاتح بمبلغ ٦٥٠ دولاراً واشتراه ل. م. بويل الفرجينى ، وبيع الآخر الغامق اللون بمبلغ ٦٧٥ دولاراً واشتراه الجنرال جون إيتون من تنسى وكان مشهوراً باسم بيجى إيتون ، وكان هذا الإسم قد أطلقه عليه رئيس أسبانيا حينما كان يشغل منصب وزير فى الولايات المتحدة ، وبعد خصم حساب خبير المزادات والتكاليف الأخرى أودع فى الخزانة مبلغ ٩٩٣,٢٨ دولار كحصيلة بيع الهدايا .

(٧)

الاستعداد للعودة

مضى شهر يونيه ، ومضت أيام من شهر يوليه وقاربت مهم أحمد على الانتهاء ، وكذلك كاد العمل فى إصلاح « السلطانة » ينتهى ، وأصبح من الممكن لأحمد أن يعد خطته لرحلة العودة وكانت الرحلة تحتاج قبل كل شيء إلى ربان جديد إذ لم تكن علاقة أحمد بسليمان على ما يرام ، بل أن تلك العلاقة قد ساءت منذ وصول السفينة إلى نيويورك نتيجة لتصرفات سليمان بالنسبة للبحارين اللذين كانا من أصل فرنسي ، فقد اختلف معهما ، وقرر تخفيض رتبتهما ثم فصلهما من العمل أخيراً دون الرجوع إلى أحمد أو استشارته . .

وفضلاً عن ذلك فقد كان طاقم السفينة لا يكن لسليمان أي احترام ، فأصبحت رحلة العودة مستحيلة تحت رئاسته لما قد يسبب من مشكلات . وذكرت صحيفة الهيرالد أن أحمد كان يصف سليمان بأنه رجل سيء ، ويود التخلص منه ، وأنه شغوف بأن يتخذ للسفينة قبطاناً أمريكياً ليقود السفينة أثناء رحلة العودة . وبعد أيام قلائل ترك سليمان خدمة السفينة وغادرها إلى لندن بعدأن حصل على مبلغ مقدم من مرتباته لتغطية نفقات رحلته .

اتصل أحمد عن طريق باركلي ولفنجستون بالكابتن ماندوتش درنكر الذى كان يقطن فى ١٠١ نورث ستريت بفيلاديلفيا فى محاولة لتكليفه بمهمة قيادة السفينة فى رحلة العودة ، وكان درنكر هذا شاباً فى الثانية والثلاثين من عمره ، ورغم هذا السن الصغير كان حتى ذلك الوقت قد سجل أعمالا بحرية ممتازة ، آخرها أنه قد عاد منذ شهور قلائل من رحلة بحرية طويلة ، وأخبر عند عودته من هذه الرحلة أن السيد سعيد يود إقامة علاقات منتظمة مع نيويورك وقد كان السيد سعيد يأمل فى أن يضع إحدى سفنه الكبيرة حمولة ٦٠٠ طن تحت تصرفه على أن يقودها درنكر ، على خط تجارة دائم مع نيويورك .

كان العرض المقدم من السيد سعيد للكابتن درنكر عرضاً مغرياً خاصة وأن درنكر كان قد تزوج حديثاً وأصبح فى حاجة إلى مزيد من المال لإعالة أسرته ، فقبل العرض بقيادة « السلطانة » فى رحلة العودة .

ورغم أن الإصلاحات التى كانت جارية فى السفينة لم تكن قد انتهت بعد فان القاطرة البحرية التجارية المسماة روفوس كنج قامت بناء على الأوامر الصادرة لها بقطر « السلطانة » من حوض البحرية إلى حوض آخر فى مجرى النهر الشمالى على بعد قليل من رصيف ركتور ستريت ، وهنا حدث أن فر سبعة من طاقم السفينة يقال أنهم من الرقيق الذين كانوا قد تأثروا بنشاط القائمين بحركات

تحرير الرقيق فى أمريكا ، وكان المعتقد أنهم اختبأوا فى مكان ما بالمدينة ، ولم يمكن العثور إلا على واحد منهم فقط ، ومن الغريب أن الصحف المنادية بتحرير العبيد فى نيويورك تجاهلت السفينة السلطانة تماماً رغم العدد الكبير الذى كان على ظهر السفينة من الزنوج الإفريقيين ، وليس من شك فى أن أخبار المعاملة السيئة لطاقم السفينة قد تسربت من جانب بعض المؤيدين لحركة تحرير الرقيق فى الميناء . وربما كان تجاهل مسألة الرقيق على السفينة « السلطانة » يرجع إلى طغيان أخبار السفينة « سارة آن » التى أرغمت على الاتجاه إلى ميناء نيويورك قبل وصول السلطانة بأيام قلائل نتيجة لاتهامها بنقل الرقيق .

ومهما يكن من أمر فان فرار عدد من طاقم « السلطانة » قد أدى إلى اتخاذ مزيد من الاحتياطات لكى لا يتكرر الهروب خاصة وقد اقترب موعد رحيل السفينة ، فعين إثنان من رجال البوليس مرة أخرى لحراسة السفينة منذ ٥ أغسطس لمراقبة تحركات الطاقم ، غير أنه فى يوم الرحيل نفسه وبمجرد أن غادر رجلا البوليس السفينة قفز إثنان من البحارة من على ظهر السفينة إلى الماء ، ولكن البوليس أعادهما تنفيذاً لقرار منع أى عملية فرار من سفن الدول الصديقة التى تتعامل مع الولايات المتحدة على أساس من إتفاقية مصدق عليها .

وباقتراب يوم مغادرة « السلطانة » لميناء نيويورك عاود الرأى العام الحديث حول موضوع الهدايا التى يجب أن يرسلها الرئيس

الأمريكي إلى السيد سعيد ، وكانت جميع المحاولات بالحصول على موافقة الكونجرس على إنفاق خمسة آلاف دولار لإصلاح السفينة وإرسال الهدايا قد فشلت ، ولكن المبلغ دبر فى النهاية بطريقة غير معلنة وربما كان المصدر هو وفورات ميزانية الوزارة البحرية التى استطاعت الخزانة فى هذه الظروف الخاصة أن تنقله إلى اعتمادات أخرى تتصل بنفس البند .

ومما أثار الدهشة أكثر أن زورق نزهة طوله ٣١ قدماً وعرضه ٤ أقدام و ٨ بوصات وعمقه ٢١ بوصة ، صنع خصيصاً بمعرفة الإخوة كرديلوس فى نيويورك بناءاً على أمر شخصى من ج. س. لفنجستون وكيل البحرية ، وقد عرض هذا الزورق فى وول ستريت يوم ٧ يوليه ، وكان حسب ما وصفه المشاهدون مصنوعاً بدقة متناهية من أرق أنواع خشب السدر ، وقد طليت جوانبه بأحسن أنواع الطلاء ، وكانت إطارات فتحات المدافع وحاملات المجاديف وذراع الدفة وقاعدتها ، وحاملات المظلة جميعاً مغطاة بمعدن فضى لامع .

أما أرضية الزورق فقد غطيت ببساط أحمر قانى ، وكانت المظلة مركبة بحيث تغطى كل أجزاء الزورق ومصنوعة من قماش كتانى مخاط من أطرافه بحرير أزرق وفوق المقاعد وضعت وسادات من الساتان الأبيض ، وكانت الحبال كذلك مصنوعة من خيوط حريرية زرقاء .

وقد قيل ، إن هذا القارب قد تكلف ألفى دولار ، وكان الإعجاب به شديداً حتى إن جريدة الإخوة جوناثان قالت فى تهكم « لعله أفخم وأفخر قارب » ، ولشحن القارب مع السلطانة عمل له خصيصاً صندوق معدنى من الصفيح لربطه بالسفينة فيمنع عنه الصدأ وتسرب الماء إليه .

ولما كان يعرف عن ولع السيد سعيد بالأسلحة فقد أمر الرئيس الأمريكى أن يكون من بين الهدايا المرسلة إليه مجموعة من الأسلحة النارية ، وبناء عليه فقد قام محل كلوب لبيع الأسلحة الكائن فى ١٥٥ برودواى بتسليم أربعة مسدسات فخمة من الموجنى ، لكل منها خزان يحمل خمس رصاصات ، وكذلك ثمانى بنادق من ذات الخزان الذى يحمل ثمانية رصاصات ، وكان طول ماسورة المسدس ثمانية بوصات وجسمها مطعم بالأصداف ، أما البنادق فكانت من خشب الموجنى السوداء ، وقد نقش على الأسلحة وعلى أغطيتها أيضاً باللغة العربية عبارة « هدية من رئيس الولايات المتحدة إلى إمام مسقط » وأرسلت مع هذه الأسلحة مجموعة من قطع الغيار المختلفة والذخيرة اللازمة .

وأكملت هدية الرئيس الأمريكى مرآتان ثمينتان ، وبعض الشمعدانات المزخرفة الفاخرة وكانت قد اشتريت من محل اندروذ الكائن فى ١٨٦ فلتون ستريت وهو معروف بتحفه الثمينة الغالية ، وكانت المرآة من أكبر حجم صنع فى الولايات المتحدة ، طولها مائة بوصة وعرضها ٧٢ بوصة ، وهى تناسب قصور السيد سعيد .

وبالإضافة إلى هذه الهدايا وصلت للسيد سعيد بعض الهدايا الشخصية من الأمريكيين وبعض الهيئات ، مثل جمعية الكتاب المقدس فى نيويورك فقد قدمت ترجمة عربية من الكتاب المقدس إلى السيد سعيد (وكان قد تلقى نسخة من قبل من الكابتن أوين عام ١٨٢٤ قبيل أن تحدث حادثة مماسة) . وأعطيت أيضاً نسخة شخصية لأحمد ، كما أرسل محل الأدوية المشهور أوستن تشيرمان الكائن فى ١٠٦ ناساو ستريت صندوقاً معدنياً كبيراً مملوءاً بخمسين علبة من إنتاجه المشهور من أنواع الحلوى الطبية المعروفة ، وكان ذلك من قبيل الدعاية لإنتاجها ، ومن هذه الأنواع ما هو ضد ديدان البطن والصداع والحموضة ونزلات البرد وغيرها ، وقد علقت صحيفة الإخوة جوناثان على هذه الهدية بقولها « إذا لم تؤد هذه إلى إنعاش جلالته فانه يكون فى غير حاجة إليها أو أنه يكون قد شفى من كل الأمراض قبل استعمالها » .

ولقد بدأت الترتيبات النهائية لإبحار السفينة « السلطانة » فى رحلة العودة ، وفى اليوم الخامس والعشرين ربط فيها الصندوق الذى يحتوى على القارب ، وبدأ تحميل البضاعة بعد ذلك ببضعة أيام ، غير أنه حدث فى يوم ٣ أغسطس ما لم يكن فى الحسبان ، إذ هبت عاصفة عاتية وصفها الهيرالد بأنه لم يسبق أن شهدت نيويورك مثلها أبداً ، ولا يذكر أقدم السكان فى هذه المنطقة أن سبق حدوث مثلها فى حياتهم .

استمرت الريح والرعد والبرق لمدة عشر ساعات متصلة دون انقطاع أو توقف ، وفى الساعة السادسة مساء سقطت صاعقة فوق السفينة فهزت جسم السفينة وصوارى المؤخرة هزاً عنيفاً ومرت منها عبر المؤخرة فكسرت الطرف المرتفع فيها وانتهت إلى الصندوق المعدنى الذى وضع فيه القارب فشقته نصفين ، وأصيب فى هذا الحادث محمد عبد الله الضابط الأول وإثنان أو ثلاثة من البحارة ، ولكن كانت إصاباتهم غير خطيرة ، ولحسن الحظ لم يكن البارود قد حمل على ظهر السفينة بعد ، وإلا لأدى إلى كارثة انفجار ضخمة.

ولقد تأثرت بالعاصفة أكثر من اثنتى عشر سفينة كانت راسية فى الميناء ، كما أن الكثير من المبانى بما فيها كنيسة سانت بول ، قد أصيبت بالدمار نتيجة للعاصفة .

ولما علم عميد البحرية رانشو بالحادث أرسل من فوره مجموعة من الرجال من البحرية للمساعدة فى إصلاح الدمار ، وبمساعدتهم أمكن للسفينة أن تعود إلى حالتها وتصبح معدة للرحيل خلال يومين.

وفى السابع من أغسطس أتمت السلطانة الإجراءات الجمركية للإبحار إلى مسقط وزنجبار ، وكان بحارتها قد انخفضوا إلى ٧٤ بحاراً من بينهم أربعة أمريكيين لم تذكر أسماؤهم ، كان درنكر قد عينهم لملء الوظائف التى شغرت نتيجة لمغادرة بعض البحارة ، وكان هناك مسافر هام سيصحب الرحلة هو وليم روترز شقيق القنصل ووترز وكان يطلق عليه أستاذ الدين .

وبعد يومين ، وفى صبيحة التاسع من أغسطس قام القارب البخارى هركيولس بقطر السلطانة خارج الميناء إلى اللسان الرملى ، وكان أحمد بعقليته الاقتصادية قد عارض فى أن تقطر السفينة ما دامت هناك ريح غربية منتظمة لتوفير تكاليف القطر البالغة ٦٢ دولاراً ، ولكن درنكر أوضح له أن السفينة لا يمكن أن تخرج من الميناء دون قطر .

وخارج منطقة الحجر الصحى مرت « السلطانة » بالسفينة التجارية الضخمة جريت وسترن التى كانت تعتبر مفخرة الأسطول الذى يعبر الأطلسى ، وأطلقت « السلطانة » ثلاثة صفارات تحية لملكة البحار ، وردت جريت وسترن على التحية بمثلها ، وبدأت رحلة العودة .

(٨)

فى رحلة العودة

قام درنكر بكتابة مذكرات عن الأحداث اليومية ، وعن خواطره طوال الرحلة ، ومن هذه المذكرات توجد نسخة محفوظة لدى أسرة درنكر ، وتعتبر هذه المذكرات من السجلات ذات القيمة الكبيرة التى تعطى صورة عن الحياة على ظهر السفينة ، ولعل قيمتها تزيد أكثر حينما يأتى اليوم الذى تنشر فيه ، وتعتمد هذه الدراسة على مذكرات درنكر فى كثير من أجزائها .

كان درنكر قد وضع خطة الإبحار بحيث يتجه بالسفينة اتجاهاً شرقياً مباشراً لأقصى مدى يمكن أن تبلغه قبل أن ينحرف بها شمالا بشرق مع اتجاه الريح التى تسود فى المنطقة المحصورة بين خطى عرض ١٢ و٢٨ درجة شمالا . ولكن واجهت « السلطانة » متاعب جوية كبيرة أكثر بكثير مما كان منتظراً ، إذ تعاقبت فترات من الرهو (أو السكون الشديد فى الرياح) مع هبات عاصفة مفاجئة من رياح مضادة ، حتى أنه حدث مرتين أن كانت الأشرعة تقتلع من صواريها لولا سرعة التصرف بتحويل إتجاه الأشرعة إلى الاتجاه المضاد لاستيعاب الريح العاصفة .

ولقد اجتازت السفينة منطقة الرياح الشمالية الشرقية دون أن تهب أى رياح مساعدة بل إن رياح الجنوب الشرقى كانت تدفع

السفينة أكثر في إتجاه الغرب فتبعدها عن الخط المعتاد لطريق رأس الرجاء الصالح .

هذا ولم تلتق « السلطانة » في طريقها بأي سفينة أخرى غير التي قابلتها يوم المغادرة سوى السفينة جون كالين التي كانت قد غادرت كانتون في الصين منذ ١١٧ يوماً متجهة إلى نيويورك ، وقد مرت بها « السلطانة » في عرض البحر يوم ٩ سبتمبر ، وأرسل لها أحدهم مقداراً من البطاطس والتبغ وجوالا من التمر تقديراً لحالتها وإدراكاً للرحلة الطويلة التي قطعتها .

وإلى جانب صعوبات الجو يذكر درنكر صعوبة أخرى هي عدم تحمس ضباطه ومساعديه للعمل ، وقد كتب يقول : لقد وجدت نفسي أعمل قائداً ومساعداً وكل شيء آخر ، فقد تبين أن أفراد الطاقم غير متحمسين وغير متعاونين ، الأمر الذي أرجعه درنكر لسوء الإدارة التي اعتادوها منذ كان سليمان الإنجليزي ضابطاً أول للسفينة . وعاد فذكر أنه قد أمكن استثارة حماس البحارة نتيجة لتصرف حسن اتخذه أحمد ، فقد منحهم يوم الجمعة كأجازة للراحة مما شجعهم على العمل بقية أيام الأسبوع .

على الرغم من ذلك فان درنكر لم يجرؤ أن يعترف بأن سيطرته على طاقم السفينة كان كاملا وفعالا ، وقد سجل في ٩ سبتمبر يومياته مصوراً حالة طاقمه على النحو التالي :

« قضى الضابط الأول محمد عبد الله معظم الوقت وخاصة في

الأسابيع الأولى نائماً وكأنه قد تحول إلى جثة هامدة ، أما ابن نعمان فلم يكن بحاراً محترفاً لذا لم يشأ درنكر أن يتركه وحيداً على ظهر السفينة ، وكان الشخص الوحيد الذى استحق التقدير من جميع الضباط والبحارة هو الضابط الثانى محمد جمعه ، فرغم أنه كان يعانى من ألم فى إحدى قدميه نتيجة لإصابته فيها بدودة غينيا ، ورغم أنه كان يضع الضمادات عليها من وقت لآخر ، إلا أنه كان الوحيد الذى كان يتبادل قيادة السفينة مع درنكر طيلة الليالى والأسابيع التى قضتها السلطانة فى عرض البحر . وكان درنكر قد عرف عنه الطموح والرغبة فى التقدم قبل مغادرتهم نيويورك فأحضر له كتاب بوديتس الملاح العملى ، والذى أمكنه أن يستوعبه لدرجة جعلته قادراً على أن يعلم البحارة الآخرين مبادىء الملاحة البحرية .

اعتاد درنكر وجمعه أن يقوما سوياً كل يوم بقياس انحراف الشمس لتحديد خطوط الطول والعرض ، وقد تدرب جمعه على ذلك حتى أصبح قادراً بعد مدة أن يقوم وحده بتحديد موقع السفينة بدقة متناهية ، مما أسعد درنكر كثيراً فكتب معلقاً على ذلك بقوله :

« إنه شخص كفء ويتميز بعقلية واعية نادرة مما أسعدنى كثيراً »

وأضاف : « إن جمعه فى الواقع هو من أحسن الشخصيات التى التقيت بها فى حياتى وأصبح له مكانة حب كبيرة عندى » ...

ولما كان درنكر لا يجد جمعه دائماً فى الحالات الجوية السيئة التى يتعرض لها أثناء دورة فى القيادة ليترجم له الأوامر إلى الطاقم ،

فقد اضطر إلى أن يتعلم أسماء الأشياء المهمة وبعض الأوامر المتعددة بألفاظ اللغات التي يتكلمها أفراد الطاقم ، وهي لغات متعددة ، فالى جانب العربية يوجد من كان لا يعرف إلا السواحلية أو لغة الحجراتي الهندية أو اللغة الملايوية .

ولقد تضايق كل من درنكر ووترز من الحيز المحدود على ظهر السفينة نتيجة لازدحام القمرات ببعض الهدايا التي أرسلها الرئيس الأمريكي للسيد سعيد ، وكانت تشغل حيزاً كبيراً منها حتى أصبح من المتعذر على شاغليها أن يمدوا أذرعهم أو يتحركوا بحرية في داخلها .

أما عن المطبخ فقد كان من أفضل الأشياء في الرحلة وبخاصة في المراحل الأولى منها ، فالطباخ البرتغالي لويس بقي ضمن الطاقم وانضم إليه في رحلة العودة مساعد ، تم التعاقد معه في نيويورك هو جون ، وعلق درنكر عنهما بقوله : « إنهما بلا شك طباخان ماهران ، ولقد كنا نود أن نستمتع أكثر بطعامهما لو أنهما كانا ينظفان أيديهما ويستعملان المنديل إذا عطسا » .

ويذكر الكابتن درنكر أنه في إحدى المناسبات طلب من جون أن يعد له صحناً خاصاً من حساء الفاصوليا ، وهي من الوجبات التي اعتاد جون أن يقدمها فقط للبحارة العاديين ، فأراد أن يقدم صحن حساء يناسب كبراء القوم للكابتن ، وكتب درنكر معلقاً على طبق الحساء بقوله « لقد ذكرني صحن الحساء هذا بصحن يحتوي

ماء قد أخذ من حوض الغسيل بعد أن تجمعت فيه كل دهون أطباق وجبات عديدة غسلت فيه من قبل » .

وفى يوم السبت وكانت العادة أن يذبح خروف أو شاة لتوفير اللحم اللازم للضباط ، وقد تعلم جون كثيراً وتدرب وعلمه وورز كيف يصنع الخبز فأصبح بذلك أفضل بكثير مما كان عليه .

وبمضى الأيام والأسابيع أخذ الملل يشيع على ظهر السفينة ، وكانت الصلاة من وسائل القضاء على الملل ، فلقد كان كل من درنكر وورز من المتمسكين بدينهم ، وكانت وقت الصلاة يوم الأحد وقتاً مقدساً بالنسبة لهما إذا ما سمحت ظروف الملاحة للكابتن درنكر بذلك ، وكان أحمد بالمثل مواظباً على أداء فريضة الصلاة ، واعتاد أن يسأل كل بضعة أيام عن اتجاه القبلة بعد تغيير السفينة لموقعها أو اتجاهها .

وعبرت « السلطانة » خط الاستواء فى ٢١ سبتمبر ، ثم بعد ذلك بتسعة أيام مرت على جزيرة ترنداد غير المسكونة ، وكان على السفينة أن تسير خمسة أسابيع طويلة بعد ذلك حتى تقترب من الأرض ثانية عند رأس الرجاء الصالح ، ووصلت إلى رأس الرجاء الصالح يوم ٣٠ أكتوبر ، فكتب درنكر معبراً عن الموقف ، بقوله :

« صاح الجميع .. الأرض .. الأرض .. ولم يسبق لى أن سعدت لسماع هذه الصيحة مثلما سعدت بها الآن ، فقد وصلنا الكاب ، وكنا نتوق إلى هذا الوصول ، فقد نفذ الماء أو كاد ، وقل الزاد وقارب على الانتهاء .. » .

بقيت السفينة أسبوعاً فى ميناء الكاب تتزود بما تحتاجه من غذاء وماء ، ولكى يستريح البحارة قبل الرحيل الثانى لمواصلة الرحلة فى التاسع من نوفمبر ، وكان لويس قد هجر السفينة ، وكان ذلك خيراً لها .

صادف أن كان شهر نوفمبر ذلك العام يقابل شهر رمضان المعظم وقد واظب أحمد وضباطه وجميع البحارة على الصيام بانتظام ، وكان أحمد من جانبه يعكف على الصلاة وقراءة القرآن ، وقد ذكر درنكر أن الجميع فضلوا الصيام رغم أن القرآن — كما علم من أحمد — يبيح للمسافر الإفطار ، وفى وصفه لمائدة الإفطار قال درنكر :

« يقف الخدم حول الجمع المنتظر للطعام ، حتى إذا ما أطلقت الإشارة بأن الصوم قد انتهى باختفاء آخر شعاع من الشمس وراء الأفق اندفع الجميع يغرسون أيديهم فى الأرز الغنى بالدهن » .

وبمضى الأيام فى شهر رمضان بدأ تأثير الصيام يظهر على البحارة الذين كانوا يتكاسلون عن أداء عملهم بدعوى أنهم صائمون وكانوا — كما قال درنكر — يشكون من كونهم مرغمين على العمل فى الوقت الذى لا يستطيعون فيه تناول الطعام .

ومما ذكره درنكر أنه قبيل مغادرة السفينة لميناء الكاب استطاع أن يقنع أحمد بشراء خروفين كبيرين ليذبحا يوم عيد الفطر خصيصاً ليأكل منهما كل بحارة السفينة ، وقد كان لهذا أثره الكبير على رفع معنويات البحارة خلال المرحلة الأخيرة من الرحلة .

وفى ٢٢ نوفمبر دخلت « السلطانة » خليج موزمبيق ، وبعد ذلك بأسبوع كانت تمر على جزيرة موبوتو وهى آخر جزر القمر من جهة الشرق ، وأخيراً فى ٧ ديسمبر وصلت السفينة إلى جزيرة شومبا التى تبعد ثمانية أميال عن زنجبار ، ولما كان الوقت متأخراً ، اتجه ووترز وجمعه سوياً فى قارب إلى الشاطىء لدعوة بحار مرشد ليقود السفينة إلى مرساها فى زنجبار .

وهنا ، وبينما الرحلة فى آخر مراحلها ، وبينما كان البحارة يتلقون الأخبار الطيبة من أهليهم ويقابلون بالترحيب الشديد والفرح الجم ، حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فوبلوا بمأساة وفاة محمد جمعه الساعد الأيمن لدرنكر ، والذى كان عماد السفينة الأول .

وقد ذكر درنكر فى مذكراته ، أنه حينما ترك جمعه ، وقف عن مقعده وسار متجهاً إلى جانب فى السفينة ، ووقف يتأمل فى الأفق البعيد ، وفجأة وضع يده على حلقه من ألم فيه ، وأسلم الروح قبل أن يلحق به أحد وسقط من السفينة وغرق فى الحال » .

وكانت وفاة جمعه مفاجأة للجميع ، ذلك أن حبه كان يغمر قلوب كل البحارة ، وكل من على السفينة ، غير أن أحزان البحارة قد خفت واختلطت بفرحة الوصول ، وربما لم يحزن أحد عليه ، أو يتأثر بموته مثل ما تأثر درنكر الذى عرف المرحوم محمد جمعه عن قرب ، وأدرك ما يمتاز به على غيره من الرجال ، وكانت الصداقة بينهما متينة ، وقد ظل درنكر يذكرها طول حياته .

وفى الثامن من ديسمبر ، وقت الظهيرة ، ألقت « السلطانة »

مراسيها فى خليج أمتونى أمام قصر السيد سعيد ، وانطلقت من فم أحمد ومن قلبه صيحة منخفضة « الحمد لله » شاكراً الله على سلامة الوصول ، وصاح الجميع حمداً لله كذلك .

لم يكن السيد سعيد فى المدينة عند وصول السلطانة إلى زنجبار ، ولذلك اتجه أحمد ودر نكر إلى السيد خالد الذى كان مسئولا عن حكم الجزيرة فى ذلك الوقت للتعبير عن ولائهم ، وبعد أيام وصل الخبر بأن السيد سعيد فى طريق العودة ، ولذا لم تواصل السفينة رحلتها إلى مسقط ، ووصل السيد سعيد يوم ١٦ ديسمبر ، وكانت السفينة التى جاء عليها وتسمى « المحبوبة » قد وصلت بعد رحلة امتدت عشرة أشهر . وتقدم أحمد بالتقرير إلى السيد سعيد عن بعثته التى أتمها ، وقدم له الكابتن در نكر .

(٩)

تقويم الرحلة

هل يمكننا فى ضوء أحداث بعثة أحمد أن نقومها ؟ .. هذا هو السؤال بعد ذلك العرض التفصيلي لأحداث الرحلة .

فبالنسبة لإقامة اتصالات ودية مع الولايات المتحدة وشعبها ، نجد أن نتائج الرحلة فى هذا المجال كانت واقعية وناجحة ، وإن كانت بالنسبة للسيد سعيد غير ذات قيمة كبيرة ، ومن وجهة نظره لم تستغل هذه الصلات على الوجه الأكمل ، إلا أنه من خلال هذه البعثة اكتسب السيد سعيد أمجاداً جديدة ، وكسب لبلده وضعاً خاصاً فقد أصبح أحد الحكام العرب القلائل الذين عرفوا ، كحقيقة واقعة لدى الشعب الأمريكى .

ولقد واصل السيد سعيد محاولاته لدعم العلاقات مع الولايات المتحدة ، فأرسل فى عام ١٨٤٤ بعض الهدايا إلى الرئيس الأمريكى تياون ، ولئن ظهر فيما بعد بعض علامات من سوء التفاهم والخلاف إلا أن ذلك كان عارضاً ، ولم يكن يمحو ما كان قائماً فعلا من علاقات صداقة بين الحكومتين .

أما عن النتائج التجارية للرحلة ، فانها كانت أقل قيمة من النتائج السياسية التى حققتها ، ذلك أنه بعد أن وصل السيد سعيد إلى زنجبار بفترة قصيرة ، وقبيل أن يرى التقرير الذى قدمه أحمد ،

تحدث إلى الكابتن ذو نكر معبراً عن سروره من النتائج الاقتصادية التي حققتها الرحلة . وكانت هناك أسباب تدعوه إلى ذلك ، فمعظم البضائع التي أرسلت على ظهر « السلطانة » قد تم بيعها بأسعار عالية أو معقولة فى نيويورك ، وكانت هذه الأسعار فى أغلب الأحوال أكثر بكثير مما يدفعه التجار الأمريكيون الذين يزورون زنجبار أو مسقط لمثلها ، ورغم أن الأسعار فى زنجبار كانت تتعرض للذبذبات الشديدة إلا أنه بمقارنتها بمستويات الأسعار فى ذلك الوقت كانت أسعار نيويورك أفضل منها أو مقاربة لها .

كان القنصل ووترز قد أناب عنه أثناء أجازته التى بدأت فى يناير ١٨٤٠ رجلا أمريكياً يدعى ر. ستار باركر الذى كان يعمل سابقاً فى مؤسسة سكوفيل وبريتون ، وقدكتب ووترز فى خطاب مفصل إلى باركر يوجه نظره إلى أن الصمغ المنظف يجب ألا يشترى بأكثر من ٣,٥٠ دولاراً للكيس الذى يبلغ وزنه ٣٥ رطلا ، أما غير المنظف فلا ينبغى أن تزيد القيمة عن ٣,٢٥ دولاراً ، هذا بينما نجد أن الكيس المماثل من الصمغ قد بيع فى نيويورك بثمانية دولارات للصمغ المنظف ، وخمس دولارات للصمغ غير المنظف .

أما بالنسبة لجلود جزيرة بمبا فقد اشتراها باركر بأربعة دولارات للفة المكونة من ٢٠ قطعة ، بينما كان يبيعها لقباطنة السفن الأمريكية بمبلغ ست دولارات للفة ، وقد أثبتت هذه السلعة نجاحاً كبيراً أيضاً فى نيويورك ، إذ بيعت حمولة « السلطانة » من الجلود بسعر ٦,٢٥ دولاراً للفة .

وكانت السلعة الوحيدة التي لم تجد مثل هذا الرواج في نيويورك هي القرنفل ، فقد باعها أحمد بمبلغ ٣,٦ دولار للكيس ، بينما كان سعرها في زنجبار ٥١,٢ دولاراً لأجود الأنواع و٤,٧٥ دولاراً للأنواع العادية ، ويبدو أن ووترز قد عمد إلى رفع أسعار القرنفل حتى يمتنع التجار عن الشراء بالأسعار العالية ، وتبقى كميات كبيرة في المخازن دون تسويق .

أما بالنسبة للسلع الأخرى فلم يعثر على قوائم أسعار لها ، وقد أفرغت جميع السلع التي جاءت بها « السلطانة » من أمريكا في ميناء زنجبار خلال أسبوع من وصولها ، وسلمت جميعها إلى تجار السوق المحلية الذين كانوا يعرفون باسم « البانيان » ويروى درنكر أن بعض هؤلاء المشترين قد تعرض لخسارة كبيرة بلغت في بعض الأحيان ٥٠ في المائة وبخاصة تلك التي أرغم التجار على شرائها ، وكان ذلك نتيجة لحالة الكساد العامة التي كانت عليها السوق في ذلك الوقت .

وفي ضوء الظروف التي أحاطت بالمغامرة يمكن أن ننظر إليها نظرة تقويم خاصة ، فان تكاليف الرحلة قد بلغت ٦١٧٩ دولاراً خلاف المواد الغذائية التي حملتها السفينة عند المغادرة من مسقط وزنجبار ، والتي لا تعرف تكاليفها بالضبط ، ويمثل هذا المبلغ ٢٤ في المائة من قيمة مبيعات البضائع التي أتت بها « السلطانة » من نيويورك .

ولئن كانت التفاصيل عن أرباح السيد سعيد من تجارته في المحيط

الهندى غير معروفة إلا أنه من المؤكد أن ما أنجزته تلك المغامرة إلى أمريكا الشمالية من أرباح كانت أقل بكثير من نسبة الربح التى تتحقق فى تجارة المحيط الهندى سواء من الناحية الفعلية أو من الناحية المطلقة ، وذلك إذا أسقطنا من حسابنا أن « السلطانة » ومن عليها من بحارة كانوا قوة معطلة طيلة فترة الرحلة التى قاربت العام الكامل.

وعلى ذلك فان السيد سعيد ، وإن كان قد عبر بلسانه عن نجاح الرحلة ، إلا أنه لم يجد ما يشجعه على تكرارها بعد ذلك ، وقد أبلغ ووترز عن طريق أحمد عدم رضاه عن الضرائب العالية التى تم تحصيلها فى نيويورك .

ولو أمعنا النظر فى الأمر لوجدنا أن ذلك يعكس شعور عدم الرضا عن سياسة الحماية الجمركية التى كانت تفرضها الولايات المتحدة ، وإن كانت « السلطانة » لم تعان منها كثيراً إذ كانت الضرائب التى دفعتها بسيطة نسبياً . وكانت تطبيقاً للمادة الثامنة من المعاهدة بين الولايات المتحدة ومسقط التى عقدت عام ١٨٣٣ ، والتى تنص على أن تعامل سفن السيد سعيد فى موانى الولايات المتحدة معاملة الدول الأكثر تفضيلا .

ولقد كانت التعريفة الجمركية فى الولايات المتحدة عام ١٨٤٠ تسير على أساس قانون الضرائب على الواردات الصادر فى عام ١٨٣٣ والذى جاء تعديلا للائحة سابقة كانت قد صدرت ١٨٣٢ ونص فى اللائحة الجمركية لعام ١٨٣٣ على خفض الجمارك تدريجياً

على جميع البضائع بحيث تصبح ٢٠ فى المائة على الأكثر عام ١٨٤٢ وبناءاً على ذلك بلغت الجمارك على السجاد عام ١٨٤٠ وهى السنة التى وصلت فيها « السلطانة » إلى نيويورك ٢٣,٥ فى المائة من قيمته بصرف النظر عن نوعه.

أما بالنسبة للبن فقد نصت اللائحة عام ١٨٣١ على أن يسدد مبلغ سنت واحد عن كل رطل من البن الذى يرد من شرق رأس الرجاء الصالح وبذلك كانت الجمارك التى تم تحصيلها على كل من السجاد والبن الذى حملته « السلطانة » إلى نيويورك عالية نسبياً.

هذا ويوجد بعض الغموض فيما يتعلق بالمبالغ التى سددت كجمارك على البضائع التى حملتها السلطانة ، ذلك لأن سجل الضرائب الخاص بنيويورك للفترة التى كانت فيها الزيارة قد فقد ، وأن ما أمكن العثور عليه منها وجد مبعثراً هنا وهناك ، ولا يمكن بذلك أن يعطى صورة كاملة ، ولكن على العموم أمكن من هذا الشتات تكوين مجموعة من البيانات المتفرقة ، ومن هذه البيانات أن السفينة سددت ما يعادل ٢٩٠,٧٠ دولاراً إلى توكيل السفن ، وهو رقم شامل لا يمكن أن يتضمن أى تفاصيل.

وفى الوقت نفسه لا توجد أية بيانات من هذا القبيل فى كشوف حسابات أحمد ، كما أن مجموعة الأرقام الخاصة بمصاريف الميناء لا تدل على وجود أى نوع من هذه النفقات أو أى رقم يقاربه ، ولكن هناك رقم وحيد يمكن التكهن به وهو مبلغ ٢٨٦,٩٨ دولاراً

يمثل ١٠ فى المائة من ثمن السجاد . وإن صح هذا الرقم فمعنى ذلك أن السجاد قد قدر بمبلغ ٢٨٧٠ دولاراً . وإذا كان الرقم الذى ظهر فى كشف حساب أحمد كحصيلة للسجاد هو ١٤٤٨,٦١ دولاراً فمعنى ذلك أن السجاد قد أدى إلى خسارة كبيرة .

ولعل الخسارة التى قيل أنها لحقت بالسجاد تمثل حقيقة واقعة ولكن بتقويم نوع السجاد من النموذج المحفوظ منه حالياً فى مجموعات المتحف القومى نجد أنه كان من النوع العادى ، ولم يكن من النوع الحريرى الذى أهديت قطعة منه للرئيس ، وعلى ذلك فإن قيمته كما ذكرت فى كشف الحساب تبدو معقولة إن لم يكن مبالغاً فيها ، ولعل هذا يرجع إلى احتمال حدوث خطأ متعمد فى تسجيل أحمد لإيرادات السجاد فى كشف حسابه .

وإذا ما أخذنا فى الحسبان حصيلة بيع السجاد بعد خصم المبلغ الذى اعتبر ضريبة جمركية عليه بنسبة ٢٣,٥ فى المائة فيكون ثمن السجاد الذى قدمت تقديراته للجمارك هو ١٢٠٠ دولاراً هذا ، وعلى غير المتوقع ، لا يوجد أى ذكر لتسديد ضرائب عن البن ، مما يؤكد أنه لا توجد بيانات حقيقية وصحيحة تمثل الواقع ، ولعل الزمن يظهر لنا البيانات الحقيقية التى قد تفسر مثل هذه التناقضات الظاهرة ، وكذلك باختفاء بعض البيانات الحتمية كالضريبة المقررة على البن .

ولقد جاء الوقت الذى أبدى السيد سعيد فيه رغبته فى إرسال سفينة إلى مانيلا لاستيراد السكر ، وطلب إلى الكابتن درنكر أن يقود هذه السفينة ، غير أن درنكر اعتذر عن ذلك بحجة أنه جاء فى مهمة لتدعيم العلاقات مع الولايات المتحدة وبخاصة مع نيويورك وذكر للسيد سعيد أنه سيغادر إلى وطنه على أول سفينة عائدة إلى الوطن ، وذلك إذا لم يقرر السيد سعيد إرسال سفينة أخرى إلى أمريكا .

وتنفيذاً لكلمته غادر زنجبار على ظهر السفينة بريندا فى يناير عام ١٨٤١ ، وبذلت جهود كبيرة للإبقاء على البحارة الأربعة الذين أتوا على ظهر « السلطانة » ليعملوا فى أسطول السيد سعيد غير أن هذه الجهود لم تأت إلا بنجاح محدود ، فقد وافق واحد منهم فقط على البقاء بينما آثر الثلاثة الآخرون العودة إلى وطنهم .

عاد القنصل ووترز إلى زنجبار ، وبقيت التجارة بين أمريكا وزنجبار فى أيدى تجار ميناء سالم ، وكان هناك تلميح من جانب الزنجباريين عن إرسال سفينة أخرى إلى الولايات المتحدة مرتين على الأقل ، كان القصد منها هو استحثاث ووترز على شراء بعض البضائع الخاصة بالحاكم ، ومما يذكر فى هذا الصدد أن السيد سعيد استشار القنصل ووترز فى ديسمبر ١٨٤١ عن طريق عميله جيرام سيوجى فى إرسال السفينة المسماة « الغوالة » إلى الولايات المتحدة محملة بالصمغ ، وترك للقنصل بديلا عن ذلك شراء كمية من الصمغ فاشتراها .

وقد تكرر ذلك فى نوفمبر ١٨٤٢ — حيث كرر السلطان الفكرة بإرسال السفينة « غزالة » إلى نيويورك ، ووصلت الأخبار إلى مسامع ووترز عن طريق أحمد هذه المرة ، فاحتج ووترز بأن الموضوع غير مدروس بدقة وذكر أنه مشروع سطحى كما يبدو ، ثم وصل إليه بعد ذلك بأسابيع قليلة اقتراح ووترز بأن يشترى كمية الصمغ التى كان السلطان ينوى شحنها على السفينة « غزالة » وبذلك كانت رحلة « السلطانة » هى أول وآخر رحلة تقوم بها سفينة تحمل علم عمان وزنجبار القرمزى اللون إلى سواحل أمريكا (فى تلك الفترة) .

أما عن الهدايا التى أرسلها الرئيس الأمريكى فاى يورين إلى السيد سعيد فقد قبلها السيد سعيد رغم أن المستر هون عمدة نيويورك السابق كان يسائل نفسه عما إذا كان السيد سعيد سيقبل الهدايا أم سيرفضها ، وقد جاء هذا التساؤل نتيجة لنظرة هون إلى ما عوملت به هدايا السيد سعيد فى الولايات المتحدة .

ولقد حازت المرايا والأسلحة والشمعدانات الإعجاب ، أما الزورق الفاخر الباهظ التكاليف فقد حاز على إعجاب أقل بكثير مما حازته الأسلحة والمرايا .

ويرجع عدم الإعجاب الكبير بالزورق البخارى إلى أن البحارة لم يكونوا مدربين على تسيير مثل هذه القوارب البخارية من قبل ، ولذا تسببوا فى انقلابه من أول مرة ، وتعرض راكبوه من أقارب السيد سعيد للغرق ، وقد أدى ذلك إلى الظن بأن هناك عيب فى

الزورق نفسه مما جعل السيد سعيد يأمر بأن يوضع فوق السفينة الراسية المسماة « شاه غلام » حيث بقي سنين طويلة بليت فيه كل زخارفه واختفت كل الأغلفة الفضية من قوائمه وجوانبه وقواعد صواريه .

وأراد السيد سعيد فى وقت من الأوقات إهدائه إلى القنصل ووترز ، ولكن ووترز رفض بشده أن يقبله ، وكذلك فشلت محاولات أخرى لبيعه لأحد المواطنين ، ولكن أخيراً فى مايو ١٨٤٣ نجح السيد سعيد فى استبداله من القنصل البريطانى هامرتون بقارب ذى ستة مجاديف لم يكن يساوى فى ذلك الوقت أكثر من مائتى دولار .

أما بالنسبة لهدايا السيد سعيد التى أرسلها مع أحمد فقد اعتبرت هدايا لحكومة الولايات المتحدة ، ومعظمها مازال موجوداً حتى وقتنا الحاضر ، وكانت قد أودعت عام ١٨٤٣ فى دار براءات الاختراع القديمة التابعة لوزارة الخزانة ، ثم نقلت ثانيه فى مارس عام ١٨٨٧ إلى متحف الولايات المتحدة القومى حيث أصبحت تكون جزءاً من أجمل مقتنيات المتحف ، إلا أن السيف اختفى كما أن زجاجات العطر قد تبخرت .

وقد حدث مرتين أن اختفت بعض هذه الهدايا مرة فى عام ١٨٤٨ والثانية فى الفترة من ١٨٨٧ إلى ١٨٩٢ حيث يبدو أنها سرقت ، وبقيت السجادة الحريرة محفوظة فى مجموعة انجليكا سنجليتون فان بورين ، حرم الرئيس ، وهى المجموعة التى تضم

أيضاً أرديتها الثمينة ، وكتب على هذه السجادة خطأ أنها مهداة من الرئيس إلى زوجته .

استقر أحمد بن نعمان فى خدمة السيد سعيد ، وكانت رحلته إلى نيويورك سبباً فى ترقيته إلى أعلى المراتب ، ورغم أنه كان فى مسقط وزنجبار لا يخرج عن كونه كاتباً للسيد سعيد ، إلا أن ما لقيه من مجد وتبجيل فى الولايات المتحدة جعله لا يدخر وسعاً فى التحدث عن ذلك فى كل مكان وكل وقت .

وبتغلغل النفوذ البريطانى فى زنجبار ، أصبح أحمد فى نظر القنصل البريطانى هامرتون رائداً فيما أسماه بالاتصال بالجانب الأمريكى.

وقد كتب هامرتون فى فبراير ١٨٤٢ قائلا « أن نمط الاتصالات بين الإمامة والقنصل الأمريكى ووترز ، والجانب الأمريكى بصفة عامة قد تم من خلال أحد الكتبة فى حكومة الإمام يدعى أحمد ابن نعمان ، وهو الذى ذهب على ظهر السفينة سلطانة إلى أمريكا ، وهو الذى يقود كل من يشيع عنا أننا شعب أقل مستوى من الشعب الأمريكى .. » .

وكان هامرتون يعتقد أن الجانب الأمريكى كان يحاول أن يستحث السيد سعيد ليتخذ خطوات مضادة للموقف البريطانى ، بأخباره عن كل تحركات بريطانيا مثل موقفها من أفغانستان وغيره .

أما عن الصداقة بين أحمد والقنصل ووترز فقد أثمرت كثيراً ، ذلك أن ووترز كتب إلى خلفه فى زنجبار بعد أن غادرها عام ١٨٤٤

يقول : « عليك بمقابلة الكابتن حسن بن إبراهيم وأحمد بن نعمان وغيرهم من أصدقائنا القدامى كما فعلت أنا حينما كنت هناك » .

وقد فعل القنصل الجديد ما نصح به ، وظل أحمد من الزوار الدائمين الذين يترددون على مؤسسة « بنجرى » ، وكثيراً ما كان يسأل عن صحة صديقه القديم ووترز أثناء هذه الزيارات ، وكان يعرض فيها خدماته على هذا الشاب الجديد .

ولما توفى السيد سعيد احتفظ الحاكم الجديد السيد ماجد بأحمد كسكرتيره الخاص ، ثم ترك أحمد الخدمة عـــام ١٨٥٨ ، وفى أكتوبر عام ١٨٦٠ أى بعد ذلك بسنتين كتب ريجبى يقول : إن أحمد أصبح ضعيف الصحة ، غير قادر على إعطاء المعلومات . وتوفى إلى رحمة الله عام ١٨٦٩ ، ووضع على قبره حجر نقش عليه إسمه وتاريخ دفنه فى المقبرة العامة بزنجبار . . .

. . وهنالك فى مكتب لجنة الفنون بمبنى بلدية نيويورك توجد لوحة أصلية معلقة على الجدار طولها ٤٢ بوصة وعرضها ٣٦ بوصة ، تشتمل على منظر لأحمد رسمه الفنان مونى ، كما توجد نسخة منها بريشة الرسام نفسه معلقة فى متحف بيبوى فى سالم بولاية ماساشوستس وهذه اللوحة غير مسجلة ضمن قوائم لوحات مونى ، ويرى البعض أن هذه النسخة قد رسمت ليأخذها أحمد معه إلى زنجبار ، وكانت مسز وليام ماك مولين قد أهدتها للمتحف فى سالم ، وكان زوج مسز وليام قد عمل سنين طويلة مديراً لأعمال مؤسسة بنجرى فى زنجبار ، وربما يكون قد أخذها من ورثة أحمد خلال تلك الفترة التى عمل فيها بزنجبار .

أما صورة السيد سعيد فانها هى الصورة الوحيدة التى رسمت له وكان قد رسمها الفنان هنرى بلوس لينش ، وهى اللوحة المعلقة حالياً فى متحف بيبودى فى سالم .

أما « السلطانة » فقد عادت لتحتل مكانها ضمن سفن أسطول السيد سعيد ، ثم أرسلت فى عام ١٨٤٢ إلى انجلترا كسفينة حربية تحمل مبعوثاً خاصاً من السيد سعيد إلى الملكة فيكتوريا ، ومعه هدايا تضم بعض الخيول العربية المشهورة ، وقامت بهذه الرحلة أيضاً تحت قيادة قبطان أمريكى يسمى ويلسون كان صهراً لووترز ، وفى انجلترا أصلحت فى حوض البحرية البريطانية الكائن فى وولويتش .

وعند عودتها إلى زنجبار كانت فى أحسن حالاتها ، وظلت تعمل حتى وقعت لها حادثة فى تاريخ غير معروف ولكنه فى الأغلب بعد عام ١٨٥٥ ، فقد جنحت وهى عائدة من الهند أمام جزيرة وارين على مرمى النظر من جزيرة بمبا ، ولم يمكن إنقاذها وغرقت ...

(١٠)

خاتمة

استمرت العلاقات بين سلطنة عمان وتوابعها وبين الولايات المتحدة على أحسن ما يرام منذ عهد السيد سعيد ومبعوثه أحمد ابن نعمان ، وقد كلف سعيد بن خلفان فيما بعد بالقيام بأعمال القنصلية الأمريكية فى عام ١٨٤٣ ، إلا أن سلطان مسقط لم يعترف به ، وظل الوضع كذلك بدون قنصلية حتى أعيد فتح القنصلية الأمريكية فى مسقط عام ١٨٨٠ ، وظلت كذلك حتى سنة ١٩١٥ .

وفى تلك الفترة كان القنصل الأمريكى المقيم فى اليمن يقوم بزيارات للسلطان السيد سعيد بن تيمور الحفيد الثانى للسيد سعيد ، وذلك على الرغم من أنه كان غير معتمد لدى سلطنة عمان ، وفى ديسمبر عام ١٨٥٨ عقدت معاهدة صداقة واتفاقية اقتصادية جديدة مع إقامة علاقات قنصلية مع السلطنة ، وحتى ذلك التاريخ كانت المعاهدة المعمول بها هى التى وقعت عام ١٨٣٣ .

وفى عام ١٨٦١ انفصلت زنجبار عن مسقط وأصبحت كل منهما وحدة سياسية قائمة بذاتها ، وأصبحت زنجبار محمية بريطانية وأخذت تخطو خطواتها نحو الحكم الذاتى ، وفى عام ١٨٧٩ قبل سلطان زنجبار العمل بمعاهدة عام ١٨٣٣ كأساس للعلاقات بين الولايات المتحدة وزنجبار .

ثم أغلقت القنصلية الأمريكية التى فتحها ووترز فى زنجبار فى عام ١٩١٥ ، وأخيراً فى سبتمبر ١٩٦١ أعيد فتحها وحضر ممثل أمريكى إلى زنجبار مرة ثانية فى عهد السلطان السيد عبد الله ابن خليفة الذى كان كقريبه فى مسقط حفيداً للسيد سعيد .

مضى أكثر من قرن وربع على رحلة أحمد إلى زنجبار ، وتغيرت أنماط الحكم والسلطة فى العالم العربى خلال هذه الفترة الطويلة ، وانكمش ملك السيد سعيد الذى كان ممتداً فى شرقى أفريقية وبدأ الأمريكيون خلال تلك الفترة يقيمون علاقات صداقة وصلات متعددة مع الحكومات والشعوب العربية ، ولئن كانت الشخصية العربية لها عندنا نحن الأمريكيين تكريماً واحتراماً فان أحمد بن نعمان ورفاقه قد كان لهم الفضل فى وضع البصمات الأولى للتعرف على الطبيعة العربية الطيبة البسيطة ؛ على الأقل فى وسط جزء من الرأى العام الأمريكى .

ولعل هذه الصفحات — كما نأمل — تكشف عن جزء من الماضى ستاراً أسدله الزمن على رحلة أحمد بن نعمان ، ولعلها تذكرنا بما قد نسيناه — مما يستحق الذكر — من تلك الرحلة إلى شواطئ أمريكا .

الفهرس

رقم الإيداع ٤٧٣٩ لسنة ١٩٨٢

مطابع سجل العرب
١ شارع عماد الدين / القاهرة ت ٩٢٢٧٠٦

